

6 me Année, No. 281

Lundi - 21 - 11 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
صـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٨١ «القاهرة فى يوم الأثنين ٢٩ رمضان سنة ١٣٥٧ — ٢١ نوفمبر سنة ١٩٣٨» السنة السادسة

الفهـــــرس

من مآسى الأخلاق

بعد عشرين عاماً فى الجهاد

فى اليوم الثالث عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ بُعث نبى الوطنية سعد زغلول، وأُوحى إليه أن يذهب هو وإخوته إلى جون بول يدعونه إلى الحق، كما أوحى إلى موسى أن يذهب هو وأخوه إلى فرعون يدعوانه إلى الإيمان. وجون بول كان يزعم كما زعم فرعون أن له ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحته. فقال له سعد قوله اللين لعله يخشى أو يتذكر، فأبى واستكبر، ثم طغى وتجبر، فهدَّد وشرَّد، ثم قتَّل ونكل؛ فسلط الله عليه وحدة الأمة النبيلة فرمته بأُسُودها وأشبالها، بنسائها ورجالها، بصليبها وهلالها؛ فلم يجد بدًّا من التسليم لقوة الروح وسطوة الإيمان وغلبة الحق، فتنزل عن الحماية، وساوم على الاستقلال؛ فما زالت الأمة تداوره وتصابره حتى استردت حقها المسفوه بفضل الزعامة الرشيدة والرأى الجميع والقلوب المؤتلفة والفرص المواتية

وولى الأمر بعد الرسول الوطنى خلفاؤه الأربعة الراشدون، فأحسنوا الولاية ووصلوا الجهاد وصدقوا العهد، حتى بغى مروان، وقُتل عثمان، فشتَّتِ الوحدة، وتشعث الرأى، وتصدعت القيادة،

وذاق الناس بعضهم بأس بعض، وحمل كل فريق على كل فريق بالأذى والهُجر، يرميه بالفسوق والمروق، وينبزه بالجبانة والخيانة، حتى أُصيبَ الرأى العام بنوع من الأفَن لا يستقيم معه منطق ولا يبلغ عليه جهاد!

***

هـذان سرادقان نصبا فى مكانين متقاربين فى ساعة واحدة لغاية واحدة ، فماذا رأى الرائى وسمع السامع فى حفلين أقيما لتمجيد الجهاد والتضحية ، وتجديد الاتحاد والألفة ؟ رأى فريقين كانا فى حومة الشرف وميدان الشهـادة إخوان سلاح فى معسكر واحد ، يتحملون مكاره الرسالة كالأنبياء، ويهشون للقاء الموت كالشهداء ، ويجهـلون أن لهم أنفساً بشرية تبغى المتـاع وتطلب السلطان . فأصبحا بعد النصر فرقاً فى يد الهوى ، يعـادى بينهم الحق كما يعادي بينهم الباطل ، ويجرى عليهم من أنفسهم أضعاف ما كان يجرى عليهم من العدو

رأى ذلك وسمع خطيبين يعبر كل منهما عن رأى فريقه ، فلم يدعا فى مفردات اللغة كلمة تدل على الفشل والغلول إلا تراشقا بها على تصفيق الأيدي وتصديق الألسن من كل جانب. فإذا أخذت بشهادة كل فريق على صاحبه — ولا يخلو الفريقان من شهود عدول — حكمت ولا بد بأن الأمة إنما كانت تسير إلى غايتها من الحرية والاستقلال على هـدى سليقتها الموروثة ، تدعوها الانسانية الطموحة ، وتحثها الرغبة الملحة ، وتساعدها المشاكل الدولية

أما القادة والأدلاء فقد وقفوا على جانبي الجيش يتنافسون فى الرياسة، ويتحاسدون على الجاه ، فتتعارض المطامع ، وتتنـاقض الخطط ، ولا يكون من وراء ذلك للمجاهدين إلا الضلال أو التقهقر

ذلك حكم الواقع إذا صدقت شهادة كلا الحزبين على أخيه ؛ وإلا فهو عَكَرُ الأخلاق المشوبة رسب بإذن الله إلى حين ؛ فلما انقضي جهـاد العـدو واطمأنت النفوس إلى وساوسها وأهوائها ، ثار ما فى القاع ، من الأكدار والأطماع ، فانقلب الأمر نزاعاً على ولاية الحكم ، وصراعاً على قسمة الغنيمة !

***

قالوا إننا أمة تبـدأ وحـدة وتنتهى آحاداً ، وتفشـل جماعة وتنجح أفراداً ، وتضعف قادة وتقوى أجنـاداً ؛ فليت شعرى حتَّام يصدق هـذا القول فى أمة تزعم أن لها قومية متميزة ، ومدنية مستقلة، وعقلية متجانسة ، وثقافة متحدة ؟ ؟ . . .

أحمد حسن الزيات

تحية المهد الملكى المبارك

على حواشى الفردوس من دار المُلكِ السعيدة تَطُوف أمانيُّ شُعوب ، وتهفو عواطف قلوب ، وتلهج ألسنةٌ صادقةٌ بالدعاء ، وتفيض جوانح زاخرة بالولاء ، وتتنزَّل الدعوات والتهنئات على مطلع البـدر ، كما تتنزَّل الملائكة والرُّوح فى ليلة القَدْر !

***

وعلى كَلَلِ الورد من مَهْدِ الاميرة الوليدة تَشِـع هالاتٌ من نور الحب ، وتَشِيعُ نفحاتٌ من سرور الشَّعب ، وتتلاقى بسمات المِلـكين العظيمين ، لِأُولى ثمرات القلبين الـكريمين، وتَرِفُّ نسمات الرضا الجميل ، من عِطاف الوادى وضفاف النيل !

***

فِريالُ يا حلية العرش ودرَّة التـاج الفريدة ! إنك وحـدة الحب الملـكى الصادق والحب الشعبى المـكين ، وإن مولدك مظاهرة سماوية من أعياد الدنيا والدين : عيدِ نزول القرآن ، وعيـد الجمعة الأخيرة من رمضان ، وعيد افتتاح البرلمان ، وعيد الفطر والإحسان !

***

كذلك عهد أبيك العظيم يا فريال: جمالٌ وجلال، ويمن وإقبال ، وشباب وآمال ، وقلب كله لله ، ورأس كله للوطن !

أتاتــــورك

للأستاذ محمود غنيم

طاف الحمام بعاهل الأتراك
صبراً « فروق » قد احتسبت فتاك
ماماتَ فرد يوم ووري بل هوى من أفقه فلك من الأفلاك
صاد القضاء النسر وهو محلق واهاً لنسر عالق بشراك

مات مصطفى كمال ، وليس عجيباً أن يموت في هذه السن الباكرة ، إنما العجيب أن يمتد به الأجل فوق ذلك ! إن ثمانية وخمسين ربيعاً عمر قصير إذا أضيفت إلى رجل من عامة الرجال ، أما إذا أضيفت إلى عاهل الترك فانها بمثابة قرون وأجيال . لو كان هذا الرأس من ماس لذاب ؛ ولو أن تلك الأعصاب من حديد لاعتراها البلى ؛ ولو أن هذا الجسم قلة من قلل الجبال ، لأسلمه العمل المضني إلى الانحلال .

مات مصطفى ، وأسدل الستار على ذلك الوجه الذي قدت عضلاته من الجرانيت ، وانطفأت هاتان العينان بل الكوتان اللتان تشعان السحر والمغناطيس ، وتنفذان إلى أعماق القلوب ، وتنمان عن إرادة من فولاذ .

مات الرجل الذي كان معبود قوم ، وقذى في عيون آخرين . مات الثائر الذي حكم القضاء الجائر باعدامه ، فلم يصبه سهم من سهامه . مات الذي طالما نصبت المؤتمرات شركاً لاغتياله ، فلم يقع في حباله . مات الذي ناهض السلطان ، ودوخ اليونان ، وحارب الحلفاء في صف الألمان ، فلم يجد الموت إليه سبيلا ، كأنما هو في جفن الموت والموت وسنان .

مات مصطفى ميتة ابن الوليد على فراشه ، لم يقطع شلو من أشلائه ، ولم تسل قطرة من دمائه ، فلا نامت أعين الجبناء !

كانت أمة محلولة العرى ، مفككة الأوصال ، أنهكها من الداخل استبداد الخلفاء ، ومن الخارج انتصار الحلفاء ؛ غريبة في أوربة بدينها وعاداتها ، لا هي من الشرق ولا هي من الغرب ، فجمع مصطفى تلك الأشلاء المتناثرة ، وواءم بين هذه الأطراف المتنافرة ، حتى استقام له شبه هيكل من العظام ، كساه لحما ، وركب له أعصابا ، وشق فيه حواس ، ثم نفخ فيه من روحه ، فاذا هو بشر سوى ، مقطوع الماضي عن الحاضر ، لا يمت أوله إلى آخره بآصرة من الأواصر ، فلاغرو إذا قلنا : إن مصطفى كمال ، طراز وحده في الرجال . وإننا لنجور عليه وعلى الحق معه إذا قارناه بموسوليني في الجنوب أو بهتلر في الشمال ، فان المعجزة إنما هي في إحياء الميت ، أما إحياء الحي فليس من المعجزات في شيء .

فان كان هناك فقيد يستحق التخليد ، تضاف إلى اسمه البلدان ، وتقام له التماثيل في كل مكان ، فهذا هو مصطفى كمال ، لا غيره من أشباه الرجال الذين تنحت لهم التماثيل من الصخر ، وكان جديرا بها أن تصاغ من الشمع ، ثم تسلط عليها أشعة الشمس

لم يكن الأثر الذي أحدثه مصطفى كمال قاصرا على رقعة من الأرض ، ولكنه غير اتجاهات الأفكار ، وامتد إلى النظم التي تواضع عليها البشر ، فقلبها رأسا على عقب . إنه لم يؤمن بسنة التطور في إنهاض الأمم ، ولم يعترف للزمان بعمل في تكوين الشعوب ، بل قال بالطفرة ، ثم شفع القول بالعمل ، فدفع بأمته من خلف ، في قسوة وعنف ، ثم سار وأوغل في سيره ، والناس في شك من أمره . ولشد ما شده العالم حين رآه يجتاز السبيل ، ويتخطى المقابيل ، بالغاً بأمته حيث يريد في سلام واطمئنان ، والزمان ينظر إليه في خجل ، لأنه أسقطه من حسابه ولم يعترف له بعمل

كان مصطفى مثالاً حياً للرجل الثائر ، أظلته الثورة من مهده إلى لحده ، ما حمل على رأى إلا جرّحه ، ولا سيم خطة إلا فندها ، ولا حارب تحت لواء قائد من القواد ، إلا وجه إليه مرير الانتقاد . ثار في طفولته على فلح الأرض ورعى الأغنام ، وثار في شبابه على عبد الحميد ثم على وحيد ، وثار في كهولته على العادات والتقاليد .

وليست عظمة الرجل في أن يثور ، فان الثائرين في الرجال كثير ، وما أيسر الانتقاد ، وأسهل الهدم على من أراد ! ولكن مصطفى لم يكن هادماً فحسب ، بل كان هادماً بانياً ، يبني الجديد على أطلال القديم ، ولا يعمل المعول حتى يضع التصميم

أراد مصطفى استقلال بلاده فلم يلجأ إلى الكلام ، إلا بمقدار ما يمهد الكلام للحسام ، ولم يلجأ إلى الاستجداء ، لعلمه أن الاستقلال أخذ لا عطاء ، ولكنه أسمع الغاصب المحتل صوت

احتجاجه عن طريق المدافع المدوية ، والسيوف المقعقعة ، فكان صوتاً يخترق حجاب السمع ، وكان أذاناً يطرق الصم من الآذان.

وما كان لمصطفى بفلول جيوشه الحديثة العهد بالانهزام أن يطرد المحتلين ، وأن يكبح جماح الجيران الطامعين ، ولكنها العقيدة المتغلغلة فى الصميم ، إذا اقترنت بالحق الصراح ، والرغبة المدججة بالسلاح ، لم يقف فى طريقها شيء ، بل اجتاحت هى كل شيء ، ولم تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم

وهكذا استطاع مصطفى أن يخلص الأوطان ، من احتلال الغاصب وجشع اليونان ؛ ولكن ماذا يفيد جلاء الغاصبين ، والبلاد واقعة تحت نير السلاطين باسم الدين ؟

على رسلك يا مصطفى ، إن طريق الدين شائك وعر المسالك فلا تجرح فيه عواطف الأتراك ، بل عواطف المسلمين أجمعين . إياك والتعرض للخلفاء ، فان للخليفة قوة أربعين من الأولياء . إن المسلمين لا بد لهم من إمام ، وإن الخلافة ركن من أركان الاسلام . بمثل هذا تمالت الأصوات ، من مختلف الجهات ، ولكن لمصطفى أذناً صماء ، لا تصيخ إلى النداء . هو لا يريد الخلافة ، فليكن ما يريد ، ثم يضرب الضربة القاصمة ، فيطوح بالخليفة فى مجاهل الأرض ، وتتطاير شظايا عرشه فى الفضاء . أما الفقهاء فلهم أن يبدوا ما يحلو لهم من الآراء ، وأما الصحف والكتاب ، فلهم أن يحكموا هل أخطأ أو أصاب

ترى ماذا كان يكون من أمر الخلافة لو طرحها كمال على بساط البحث ، وانتظر فيها قرار المتضلعين من رجال الدين ؟ أغلب الظن أنها كانت تسلك الأدوار التى سلكتها من قبل مسألة خلق القرآن فى عهد بنى العباس ، تتناطح حولها الحجج ، وتتقارع البراهين ، ثم ينتقل التناطح من الحجج إلى الرءوس ، والتقارع من البراهين إلى السيوف والتروس ، ثم لا ينتهى الأمر ، أو ينتهى إلى لاشيء ؛ ولكن مصطفى يعرف ذلك ، ويعرف بجانب ذلك أن منطق الواقع يغير وجوه الرأى ، ويحول اتجاهات الأذهان ، ويحمل على التسليم والاذعان . وكأنى به جالسا على أحر من الجمر ، وأعضاء المجلس الوطنى يتداولون الآراء فى مسألة الخلافة ، حتى إذا نشب الجدل وطال النقاش ساعة من نهار ، لوح لهم بحبل المشنقة فصدر القرار

ليت شعرى ما ذا فعل مصطفى ؟ أتراه افتات على عروش الخلفاء ، أم أجهز على جريح لا يرجى له الشفاء ؟ أهى نزعة من نزعات الالحاد ، أم التخلص من عضو دب إليه الفساد ؟ للتاريخ وحده أن يحكم ؛ غير أنى أبرئ من الالحاد مترجم القرآن ، وممز دين الاسلام ، ومرغم الأجانب على احترام الجمات ، وإنما هو النفوذ الدينى أمىٰ استهاله ، فوجب استئصاله ؛ ذلك النفوذ الذى تغلغل فى كل مصلحة ، واعترض طريق كل إصلاح ، والذى لم يوسم به عصر دون عصر ، أو يسلم من شره مصر دون مصر . ذلك الذى جعل مصطفى برماً برجال الدين لا بالدين ، حتى إنه ليقول فى فورة من فوراته النفسية : « لوددت لو أستطيع أن أقذف بالأديان جملة فى أعماق البحار »

وما كان لمصطفى ليضطغن على الاسلام لذاته ، ولو لم يحترمه دينا لاحترمه مقوما من مقومات القومية التركية ، تلك القومية التى كانت هدفه الوحيد بعد أن أغمد سيفه وعاد من الميدان

على أن مصطفى بشر يخطىء ويصيب ، وقد يكون جار ليعدل ، وانحرف عن الجادة ليصل إلى الطريق القويم . وإنك لن تخيط الثوب حتى تحدث الابر فيه ثقوبا . ورحم الله القائل « إنا لن نصل إلى الحق حتى نخوض الباطل خوضاً »

ليس الرجل العظيم جديراً بهذا اللقب حتى يكون عظيما فى كل شيء ، وقد برهن مصطفى على أنه رجل سلم كما أنه رجل حرب . ما كاد يخلص من قيود وطنه بالتحطيم ، حتى تناول داخليته بالتنظيم ، فأظهر فى ذلك ما لم يكن ينتظر من رجل تخرج فى الميدان ، لم يمتد إلا لحمل السلاح وإطلاق النيران . انظر إليه يقوم « بتتريك » كل شيء ، ويتعصب لقوميته حتى إنه ليحظر التعليم بغير اللغة التركية ، ويقصى فى سبيل ذلك كثيراً من معاهد الجاليات الأجنبية . ثم انظر إليه لا يمنعه تعصبه الأعمى لقوميته أن يستعير من الغرب الحروف اللاتينية ، فيفرضها فرضا ، ويطوف حاملا سبورته مبشرا بها فى الأندية والمسارح . ثم انظر إليه يفرض القبعة على الرءوس ، ويقذف بالقلبق والطربوش وغير هذين من الأغطية المختلفة الأشكال ، التى كانت تجعل من الأتراك شبه « كرنفال » . إن مصطفى القائد خبير بعلم النفس ، مدرك تمام الادراك الارتباط الذى بين النفوس ، وبين أغطية الرءوس ،

فعل مصطفى ذلك كله فى ثوان ، وإن قوماً لا يزالون إلى الآن ينتظرون حكم الفقهاء فى ترجمة القرآن ، وهم كلما هموا باستبدال لباس بلباس ، انتظروا حتى يحكموا الدليل والقياس

إن سر عظمة مصطفى هو في أنه رجل عملى ، لا يعرف المناقشات البيزنطية . ما يحتاج إلى قرون ، ينفذه فى لحظة بقوة القانون . وإنه ليؤثر الاقدام على الخطأ على التردد فى الصواب ، بل إنه ليحيل الخطأ صواباً بشدة اقتناعه وسرعة اندفاعه . بذلك استطاع أن ينفذ برنامجاً واسعاً من الاصلاحات ، وأن يعلن الجمهورية ، وأن يلغى الألقاب ، وأن يقضى على نفوس كرادلة الاسلام ، وأن يحقق غير ذلك من الأغراض التى لم تحققها الثورة الفرنسية إلا بعد عشرات من السنين ، أروت فيها خشب المقصلة بدماء الملايين .

وبعد ، فهل لنا أن نضيف مصطفى كمال إلى نابليون بونابرت وإلى محمد على باشا ثم نعتبر هؤلاء دليلا على أن رجال الميدان بما تعودوا من سرعة البت وصرامة الأحكام — أصلح لحكم الشعوب من رجال القانون الذين يتحرون المنطق فى الأحكام ، ويطيلون البحث فى فقه الألفاظ ومدلول الكلام ؟

وهل لنا أن نعتبر هؤلاء دليلا على أن الحكم الدكتاتورى العادل هو أصلح أنواع الحكم التى تساس بها الدول ؟ إننى لأميل إلى ذلك كل الميل . بيد أنهم يقولون : إن الدكتاتور يبنى نفسه على أنقاض غيره ، ويقوى شخصيته على حساب إضعاف شخصيات الآخرين . ولئن صح ذلك فاننى لأشفق على تركيا الفتاة ألا تجد خلفا لمصطفى ، أو تجد خلفا يشغل زاوية من زوايا كرسيه العريض ويترك سائره شاغرا

« كوم حماده » محمود غنيم

من ذكريات لبنان

راهب الوادي

للأستاذ على الطنطاوى

كنت فى بيروت فملت صخبها وضوضاءها وأحسست أن قلبي جائع لا يشبعه إلا الجمال ، ونفسى عطشى لا يرويها إلا الحب ، وتمنيت أن أعيش يوماً فى الجنة ... وما أقرب الجنة من ساكني بيروت تلوح لهم من شرف السماء كما تلوح الفراديس لعيني العابد المتبتل ... وتبدو لهم بذراها المكللة أبداً بالثلج رمزاً للصفاء والطهر ، وهاماتها المرفوعة المشمخرة صورة للعظمة والمجد ، وصخورها المائلة التى تتلو على الدنيا سورة الخلود ، وسفوحها الحالية بأشجار الصنوبر والسرو التى تصف الحياة الباسمة ، والجمال الباقى ، وقراها الضائعة فى الضباب العطِر ، وغاباتها السكرى بالنشيد الحلو ، وشعابها ومساربها التى يمرح فيها الحور العين ، والولدان المخلدون ، آمنين فى مثابة العشاق ، وحمى المحبين ، وأوديتها العميقة عمق السر فى نفس الصب المدله يحب أن يذيعه ثم يضنّ به فيختزنه فى صدره ، الرهيبة رهبة الأزلية عند أبناء هذا الوجود الفانى ... الساحرة سحر المجهول الذى يحبه الناس بمقدار ما يخافونه !

وكانت الدنيا تخطر فى حلل الربيع ، وكانت الطبيعة فى عرس ، فخرجت مع فئة من تلاميذى نؤم دنيا الأحلام ، وجنة المستعجل ، وذهبنا نصعد فى الجبل على غير ما طريق ، بل لقد تنكبنا الطرق عمداً ونأينا عن السبل المسلوكة ، والقرى العامرة ، لنرى الطبيعة العذراء ، ونبصر الجمال البكر ، لا الذى ازدحم عليه الواردون ، فلم نكن نبلغ الذروة بعد طول الجهد ، ونحسب أننا قد وصلنا حتى تظهر لنا من ورائها ذرى وظهور فنعود إلى التسلق طربين ، والطبيعةُ ، وبح الطبيعة ، تعرض علينا من فتونها ألواناً ، وتغرينا بالحب ما وسعها الاغراء ، فلم تلبث أن أيقظت فى نفوسنا بنات الهوى ، وشياطين الغرام ، فاذا نحن نفتش فى أثناء نفوسنا عن ذكرى حب قديم ، أو أمل بحب جديد . . وإذا نحن نحس بهذه

العاطفة المبهمة التي يبعثها الجمال في النفوس الشاعرة ، فنزهد في المال والجاه والمجد ، ولا نطلب من الحياة إلا خلوة هادئة على صخرة من هذه الصخور . نقضي فيها العمر كله مع من نحب في قبلة واحدة ... وهل يتسع عمر الانسان (ليت شعري) لأكثر من قبلة واحدة ؟

***

لبثنا صاعدين ساعات طوالاً ، والطرق تتسع بنا أو تضيق ، والقرى تبدو لنا خيالاتها كأنها الأمل الباسم يومض نوره من خلال الأمل الطاغي ، وهي متكئة على أكتاف الصخور ، أو نائمة في حجر الجبل نومة الطفل المدلل في حضن أمه الرؤوم ، والمشاهد تتبدل لنواظرنا أبداً ، فلا نترك جيلاً إلا إلى ما هو أجمل ، فلا ندري فيم نتأمل ، وأين ننظر ، كالذي يشهد معارض الفن الجميل فيحار أين يقف ، وعلى أي لوحة يلقي البصر ...

إن لبنان معرض الفن العلوي الذي أبدعته يد الله ، فمن لم ير لبنان (لبناننا الشرق النقي الطاهر ، ولبنان القوم المرح الشاعر) لم ير من دنياه شيئاً !

***

بلغنا من الصعود ما لا نطيق أكثر منه ، فنظرنا إلى أقدامنا ، فاذا تحتنا أودية وأودية لا ينال البصر أدانيها ، وإذا هي غارقة في الضباب ، ومحجوبة بالسحاب الذي علونا عليه فصار جريه من تحتنا ، وإذا هي مهولة مخيفة ، ولكنها سبيلنا مالنا من الهبوط إليها بد ، بعد أن أضعنا الطريق وبلغنا هذه الذرى الخالية ، فتوكلنا على الله وأخذنا نهبط فزعين ، ولم يكن ثمة من طريق فكنا نثب من الصخرة ، وننحدر في المسيل ، ونتزحلق على الحصى ، والوادي العميق لا يزال كما كان غارقاً في الضباب ، كأنه صورة مبهمة لاحت لشاعر ، أو فكرة غامضة أو مضت في رأس عالم ، وكنا كلما هبطنا درجة فتحت لنا صفحة جديدة من كتاب الجمال السرمدي ، فلا نكاد نقرأ منها حرفاً ، لأن لنا من حيرتنا وتعبنا وفزعنا ما يشغلنا عن تلاوة آيات الجمال ...

حتى إذا مضت ساعات وآذن النهار بالرحيل ، بلغنا قرارة الوادي ، فاذا هو خال موحش يبدو لنا كأنه قبر ، وإذا الأشواك والأزهار والأوراد قد حفت به متشابكة مؤتلفة حتى لا سبيل إلى بلوغه ، ولم تكن قد مستها يد بشرية مدمرة ، فبقيت على طبيعتها متعانقة لم يفسد ألفتها شيء ، ولم يعبث بجمالها عابث ، فدرنا حولها نفتش عن مجاز نجوز منه ، فوجدنا بعد لأي طريقاً ضيقاً ملتوياً ، فسرنا فيه نلتوي معه حتى بلغنا الأعماق ...

كان الوادي ضيقاً عميقاً كأنه فجوة صغيرة ، فنظرنا في جوانبه فلم نلق أثراً لانسان فرفعنا رؤوسنا فاذا نحن نبصر على الجانبين جداراً هائلاً من الصخر ، لا يبلغ البصر أعاليه ، وإذا نحن في بئر عميقة نائية عن الدنيا ، لم تبلغها الحضارة بخيراتها ولا بشرورها بعيدة عن البشر لم يصلوا إليها ، ولم يعلموا بها فأيقنا أنا قد كشفنا سراً من أسرار الطبيعة في هذا الجبل . وكم للطبيعة فيه من أسرار لم يكشفها إلى اليوم أحد ! ... وملكتنا رهبة المكان فسرنا صامتين ، وابتعدت عنهم أنقب في جوانب الوادي ، فاذا أنا بسلسال ماء يهبط من الذرى العالية يقطع مئات الصخور والجدور ، حتى يستقر في هذا الوادي ، كأنه رسالة الحياة وهديتها إليه فذهبت أتبع مجراه ، وأتقصى أصله ، فاذا أنا ألمح داراً متوارية وراء صخرة من الصخور الضخمة ، وإذا أنا أسمع صوتاً يختلط بخرير الينبوع ، ويرن صداه الخافت الفاتن في سكون الوادي الضيق ، فيهز من القلوب حباتها ، فأعجب من هذا الصوت وأقبل عليه على حذر فاذا أنا أتبين فيه هذه الأغنية اللبنانية الخالدة ، التي تحمل عبقرية الأجداد ، وصورة آلامهم ومسراتهم ، وخوالجهم وهواجسهم ، فيتلقاها الأحفاد ويزيدون عليها آلامهم وآمالهم فلا تنتهي أبداً ، بل تبقى دائماً نشيد الشعب ، بل أغنية القلب...

عَ اليادل يادل يادل ... ...

لَطْلَعْ عَ راس الجبل	وَشْرِفْ على الوادي
وقول يا مرحبا	نَسْم هوا بلادي
يارب يطوف النهر	ويعتلي الوادي
لَعْمِل زنودي جسر	وَمَرِّئ البنية

***

يارايحين على حلب	حبي معاكم راح
يامشيلين العنب	فوق العنب تفاح
كل مين حبيبه معو	ونا حبيبي راح
يا رب نسمة هوا	ترد الحبيب ليا

فهزني الغناء فأقبلت على الرجل يدفعني الاستطلاع والفضول ويردني الفزع وخشية المجهول ، وأثبته نظرا فاذا شيخ هِمٌّ أبيض اللمة واللحية بأسمال بالية ، فلما رآني وثب مرتاعاً فِعْل من لم ير إنساناً قط وقذف في وجهي بصرخة هي إلى صراخ الوحش النافر أدنى منهـا إلى صياح الناس ، وولى هاربا ، نخفته ، ولكني تجلدت ، وتبعته فررت بأرض مزروعة ورأيت عدداً من الشاء نفرن مني لما أبصرنني ، فأدركته عند باب الدار ، فجعلت ألطف به وأكلمه ، وهو ينظر إليّ وقد امحت وحشيته الأولى وصار وجهه كوجه طفل بريء ، وجعل يصغي إلى كلامي ، شارد البصر يحاول أن يتفهم معناه ويردد بعض الكلمات بصوت خافت رهيب، فوقع في نفسي أنه مجنون ، أو أنه قد نسي الكلام وكان الليل قد بسط على الدنيا جناحيه ولم يبق لنا بد من المبيت في هذا الوادي ، فمدت ألطف بالشيخ وأكلمه حتى انطلق لسانه فتكلم ...

قال :

... نعم خالفت إرادة السلطان ، وفررت بها إلى هذا الوادي. أليست ابنة عمي؟ أليس الحب يؤلف بين قلبينا ؟

فهممت أن أسأله عنها ، ولكني وجدته لا يعي الكلام وخفت إن أنا سألته أن يفوتني حديث قد لا أسمع مثله أبداً فسكت وعاد هو يقول :

لقد عشنا سعيدين لا نرى أحداً ولا يرانا ، نزرع هذه الأرض فنأكل من ثمرها ، ونسوق هذه الماشية فننال من ألبانها ولحومها ، وكنا أسعد الناس ، ولكنها ماتت ، ماتت منذ أربعين سنة فماتت معها نفسي . وهذا هو قبرها ...

وبكى الشيخ فأبكانا ثم قال :

إني أعيش من بعدها بلا حياة ، أنا ميت ، فاقض فيّ ما أنت قاض . خذني إلى السلطان عبد الحميد ليقطع رأسي ، لم يبق لي من الدنيا أرب بعد أن ماتت ... لقد عشت بحبها ، وأموت على حبها وهذا يكفيني ...

ثم قام مسرعا فاختفى بين أدغال الوادي ، وترك لنا بيته وطعامه وشرابه فلبثنا فيه ننتظر الصباح

« بغداد » علي الطنطاوي

التعليم والمتعطلون في مصر

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

خطة الإصلاح الخلقي

والآن وقد كشفنا عن الضعف الخلقي الذي تفشى في شبابنا بسبب إهمال المدرسة للناحيـة الخلقية نرى لزاماً علينا أن نرسم للمدرسة خطتها التي نعتقد أنها إذا سارت عليها أمكنها أن تصلح من شأن أبنائها . ولسنا ندعي العصمة من الخطأ في ذلك ولكن هذه الخطة هي التي هدانا إليها اجتهادنا وتفكيرنا .

فعلى المدرسة أن تخصص مدرساً لكل عدد من التلاميذ لا يزيدون على العشرين يراقبهم ويدرس أحوالهم ، ويكون لكل واحد منهم سجل خاص يدون فيه جميع المعلومات الصحية والخلقية والعلمية المتعلقة به وتحتفظ المدرسة بهذا السجل منذ بداية التحاق التلميذ بها . وعلى هذا المدرس أن يكون مركز الاتصال بين مدرسي هـذا التلميذ الآخرين وإدارة المدرسة من جهة ، وبين ذويه وأهله من جهة أخرى ليتعرف كل شيء عنه ، وليباحثهم جميعاً في أمره وفي تنظيم حياته وفي ترقية حاله وفي إصلاح معوجه كلما لوحظ فيه انحراف عن الصراط المستقيم . وإنا نرى أن التعاون في ذلك بين المدرسة والمنزل من المسائل الجوهرية التي تقي التلميذ شر الشطط والانحراف عن جادة الحق بما يفرض عليه من رقابة شديدة ساهرة تقدم له المساعدة التي يتطلبها ، وتبذل لذويه الارشاد اللازم لصون صحته وأخلاقه ، وتشرف على تنظيم أوقات فراغه وسيره في سبيل التقدم المطرد والنجاح المضمون ، فيسير نحو الرجولة المنشودة . وهو فوق ذلك أمر يلزم ذويه بالعناية به والاهتمام الدائم بأمره وملاحظته والسهر على تقويمه . وبالرغم مما يلقيه هذا الواجب الجديد الثقيل على المدرس من عبء ومجهود متعب فانه يخفف عن المدرسة كثيراً من أعبائها وإجراءاتها الصورية المتعبة غير المثمرة التي تقوم بها مثلا في حالة تغيب التلميذ أو مرضه أو تأخره أو تأديبه الخ ..

وفوق هذا فإننا نعلم أن كثيراً من التلاميذ الذين يتعلمون بالمدارس الابتدائية والثانوية يضطرون بحكم بعد المدرسة عن منازلهم أن يقطنوا وحدهم فى مساكن كثيراً ما تكون قذرة وغير لائقة لعدم وجود من يعنى بأمرهم . وليس هناك من يشرف على أحوالهم المعيشية ، أو يرقب عن كثب أحوالهم الخلقية فيرشدهم إذا أخطأوا ، ويردهم عن غيهم إذا حادوا عن الصراط المستقيم ؛ وفى هذا إفساد لكثير من الشبان من الوجهتين الصحية والخلقية . وإن فى وجود هذا المدرس المشرف لضماناً كبيراً يحول دون ذلك لأن فى إمكانه أن يفحص أحوال تلاميذه خصوصاً منهم من لايعيشون تحت رقابة أهليهم . ويصح أن يجمع عدداً من المتقاربين فى أحوالهم المالية والمعيشية فيساعدهم على سكنى منزل واحد وعلى إيجاد خادم يقوم بخدمتهم فينتظم بذلك حالتهم المعيشية ، ويشرف إشرافاً تاماً على تكوينهم الخلقى . فلو أن المدرسة عنيت بهذا الأمر حق العناية وحققت هذه الرقابة الدائمة على تلاميذها لخدمت الأخلاق والفضيلة والقومية المصرية خدمة كبرى ، ولأدى هذا العمل إلى رفع المستوى الخلقى والقومى إلى حد كبير ، ينهض بمصر نهضة قوية ، ويضعها فى مصاف البلاد العظيمة . وللنجاح فى ذلك شرط أساسى يتلخص فى أن يعمل المدرسون هذا العمل الجليل عن طيب خاطر وأن يعتبروه خدمة وطنية عظيمة تقدرها البلاد قدرها . ولا بد لهؤلاء المشرفين من أن يخفف عنهم عبء العمل المضنى فى نواح أخرى

ثم إن على المدرسة فوق ذلك أن تعنى عناية تامة بالرياضة البدنية المصحوبة بإجراء تدريبات عسكرية نظامية مستمرة . وعليها أن تدرب أبناءها جميعاً على المخاطرات واقتحام العوائق وتذليل الصعاب كالفروسية وغيرها كالسباحة والتجديف وركوب الخيل وأنواع المهارة الرياضية . وعليها أن تشعر الطالب بأن الألعاب الرياضية والتدريب العسكرى وأعمال الفروسية من ضروريات الحياة التى يجب على كل واحد أن يأخذ منها بقسط وليست زينة تبرزها المدرسة فى حفلاتها الرياضية السنوية فحسب لتباهى بها أترابها ولتظهر بها على غيرها ، فاذا انتهت أيامها ماتت الرياضة بالمدرسة حتى تبعثها بعد عام أو عامين فكرة إقامة حفلة أخرى كما هو واقع اليوم، فكل تلميذ يجب أن يقدم على الألعاب الرياضية ويمارسها كل يوم ممارسته لغيرها من الأعمال المدرسية الأخرى . والواجب أن تخصص المدرسة نصف ساعة على الأقل يومياً للتدريب والتمرين الشخصى وأن تكون صفاً عسكرياً نظامياً عاماً يومياً ، ويجب أن يخصص للتدريب العسكرى فوق ذلك جزء من العام فى شهر يناير كأسبوعين أو ثلاثة بصفة خاصة

وليس الغرض من ذلك تقوية الجسم واعتدال الصحة فحسب، بل هناك فوق ذلك غاية أخرى لا تقل أهمية عن هذه وهى تكوين الخلق القويم بتعويد الطالب مغالبة الصعاب والاحتمال والصبر وحب النظام واحترامه وإطاعته وحب التضامن والتعاون مع غيره من أترابه وإخوانه . وهذه كلها أمور تتطلبها الحياة الاجتماعية اليوم وتدعو إليها النهضة القومية . ويعقب ذلك مباشرة الاهتمام بمسائل الرحلات والاكثار منها فلا يصح أن ينقضى أسبوع من غير أن تقوم المدرسة برحلة رياضية فى الهواء أو فى الصحراء أو فى النهر أو البحر أو فى الحقول الخضراء اليانعة ، حيث يدرس التلاميذ بطريق غير مباشر طرق المواصلات وطبيعة الجهة صحراوية أو إقليمية أو بحرية وما يجرى فوق سطح البحر أو تحته مما ينتفع به الناس . هذا إلى الرحلات العلمية التى يجب أن يقوموا بها لدراسة طبيعة البيئة المحيطة بهم ، وما يجرى فيها من صناعات وتجارات وزراعات . فالواجب على المدرسة أن تجعل من نفسها قطعة من الحياة الاجتماعية العامة المحيطة بها ، وعلى المدرسة كذلك أن توجه عنايتها إلى خلق المشروعات الاقتصادية والخيرية بين جدرانها . وإن فى قيام التلاميذ بحركة مقصف داخلى بها حيث يقوم بعضهم بشراء مستلزماته وبيعها وإيجاد سجلات لذلك وتدوينها ، كما أن فى قيامهم بصنع بعض الأدوات المنزلية البسيطة من الخيزران والجلد والقش الخ وبيعها فى أسواق خيرية يقيمونها — لعملاً نافعاً يستحق الاهتمام والتشجيع .

وناهيك بما يمكن أن يقوموا به فوق ذلك من أعمال البر والاحسان إلى اليتامى والفقراء والمساكين مما يبعث فى نفوسهم الشفقة والرحمة . وهو أمر نادر الوجود بالمدرسة المصرية اليوم بينما نجده عملاً ضرورياً فى كل مدرسة أجنبية . وعلى الأخص فى مدارس البنات إذ يغرسون فى قلب البنت العواطف الكريمة: عواطف الرحمة بالضعيف والشفقة على المسكين ، والبر بالعاجز

واليتيم. وإن من أوجب الواجبات إدخال هذا النظام سريعاً والعمل به لما يخالفه من جو كريم ملؤه العطف والحنان ولما يربيه في الصغار من حب البذل والجود في سبيل الخير. وكثيراً ما سمعنا عن مدارس أجنبية بين ظهرانينا تقوم بعمل الكسى وتوزيعها هي والحلوى في أيام الأعياد على الفقراء والمساكين. وإذا كانت المدرسة المصرية قد استحدثت في سنيها الأخيرة نظام توزيع الجوائز على المتفوقين علمياً من أبنائها فجدير بها أن تخص البرزين من تلاميذها في كرم الخلق والحدب على الضعيف والعطف على البائس المسكين. وأن تخص أقوم التلاميذ أخلاقاً وأكثرهم رجولة. جدير بها أن تخص هؤلاء أيضاً بالتشجيع وأن تمنحهم الجوائز والمنح تشجيعاً لذوي الأخلاق الفاضلة وتنبيهاً لغيرهم إلى ما تستحقه تلك الأخلاق من تكريم وتقدير. وليكن لنا في قرين الملكة فكتوريا أسوة حسنة. فلقد كان رجلاً طيب القلب، طاهر الفؤاد، يقدر الأخلاق الكريمة حق قدرها فكان كلما قرر مكافأة سنوية لمعهد من المعاهد جعلها لأرقى الطلبة خلقاً، ولمن يؤمل فيه أن يكون رجلاً كبير القلب طاهر الفؤاد عظيم الشمائل، ولم يكن يجعلها لأذكى الطلبة أو أنبههم أو أكثرهم مدارسة للكتب، أو أنبغهم في العلوم

ثم إن على المدرسة بعد هذا وذاك أن تحبب أبناءها في القراءة ومدارسة الكتب وتذوق ما في بطونها. وعليها أن تتخير لهم الكتب المناسبة لعقولهم فتكثر للأطفال من القصص الصغيرة المليئة بحوادث التضحية والبطولة وأبطال الرجال وقادتهم، وأن تضمنها ما كان لعظيم أخلاقهم من سر في بطولاتهم. فلكم يحلو للطفل أن يحدثه أستاذه أو كتيبه عن بعض المواقف العظيمة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، أو عمر بن الخطاب، أو عمر بن عبد العزيز. وكم يحلو له أن يقرأ شيئاً عن مصطفى كامل أو سعد زغلول، أو جان دارك، أو غاندي، أو غيرهم من الأبطال المليئة حياتهم بالنوادر والقصص اللطيفة التي تحفز الطفل إلى التقليد والنسج على ذلك المنوال فيشب معجباً بأعمال البطولة النادرة ويتمنى في نفسه دائماً لو أتيح له أن يكون كواحد من هؤلاء الأبطال. ولا شك أن هذا يدفعه في شبابه بل طول حياته إلى الأعمال العظيمة، كما أنه يحول بينه وبين كل رذيلة أو عمل حقير. وفي المدرسة الثانوية يجب أن يكون في صلب جدولها درسان على الأقل أسبوعياً للمكتبة لكل طالب يكلف فيها تحت إشراف مدرسه بدراسة تاريخ حياة بطل من الأبطال ليكتب عنه ويحاضر فيه إخوانه ويسمر معهم متحدثاً عن سيرة بطله وأعماله ونوادره وأحواله. وفي بطون التاريخ كثير من الأبطال السياسيين وغير السياسيين من المستكشفين والمخترعين وجبابرة العقول والفلاسفة. ولا شك في أن متابعة سير هؤلاء ومدارسة أحوالهم من أشهى وألذ ما يخاطب به عقل فتى تستهويه البطولة والعبقرية، كما أني لا أشك في أمنية كل شاب أن يصير بطلا كأولئك الأبطال مما يحفزه في أن يسير سيرتهم وينهج نهجهم. بهذا العمل لا نكون قد حققنا غرضاً واحداً، بل عدة أغراض، إذ نعود الطالب الاعتماد على نفسه في البحث والدرس كما نعوده تذوق القراءة والمطالعة واعتيادها، وحصر أوقات فراغه فيها، ونغرس فيه فوق ذلك حب البطولة وتقديرها والسعي المتواصل إليها. وياحبذا لو عملت المدرسة من ناحية أخرى على تحبيب تلاميذها في الفنون الجميلة من موسيقى وتصوير وشعر، وذلك بأن يدرس المشرف صاحب سجل التلميذ ميول التلميذ منذ بدء اتصاله بالمدرسة واتجاهه، ثم يحاول أن يقوي فيه تلك الميول حتى يتجه به إلى أحد هذه الفنون فيسير في تعلمها لأنها لا تربي في الانسان الذوق السليم فحسب، ولكنها تصرف الشاب عن الاتجاهات الفاسدة وتجعله يعرف كيف يقضي أوقات فراغه في هوايته التي جذبته إليها من غير أن يتأثر بقرناء السوء أو يفكر في غير اللهو البريء لا اللهو الفاسد الذي يجر كثيراً من الشبان إلى الدمار والهلاك

إذا قامت المدرسة بكل ذلك، ولن تقوم به إلا إذا تخلصت من قيودها الحالية، فإنها تكون قد حققت الغرض الأسمى من وجودها لأنها أحاطت أبناءها بسياج متين من الأخلاق الفاضلة وأعدتهم إعداداً حسناً للكفاح الدائم، والنضال المستمر المنتج في الحياة، ذلكم الكفاح والنضال اللذين يكونان الرجال ذوي العقول المثقفة والضمائر الحية، والأخلاق الطاهرة القوية، مما يكفل لهم النجاح في أعمالهم والنهوض بأمتهم. وليس للأمة عدة تتكئ عليها في هذا السبيل غير المعلمين الأكفاء الأمناء الذين يقدرون واجبهم تمام التقدير ويسهرون على أدائه خير أداء تعاونهم في ذلك الأمهات المثقفات العارفات بطرق تنشئة الأطفال على الفضيلة وقيادتهم قيادة صحيحة إلى الحياة الفاضلة السامية. ولن يتوج هذا النجاح

إلا بسهر الحكومة سهراً فعالاً على حماية أبناء البلاد وعنايتها بناشئها ومعونتها المنزل والمدرسة معاونة صادقة فى سبيل الطهر والفضيلة واجبها المحتوم فى ذلك يقضى عليها بأن تسن تشريعاً خاصاً يحرم على الأطفال والشبان قبل سن محدودة ارتياد محال اللهو والمقاهى العامة ومحال القمار وغيرها مما يفسد الأخلاق ويقضى عليها إذا كانت لا تستطيع أن تقضى على المحال المفسدة وتحمى جمهور الشعب من مفاسدها. وواجبها المحتوم يقضى عليها أن تنشئ مراكز متعددة للألعاب الرياضية فى مختلف جهات المملكة يلتحق بها الشبان بعد انتهائهم من المدرسة فيقضون فيها أوقات فراغهم وتكون مكاناً لتسليتهم وسمرهم وتقوية أجسامهم بدلا من تلك المقاهى العامة التى انتشرت فى كل مكان وأقل ما يقال فيها أنها تعلم الكسل وتعود الاهمال وتباعد بين الرجل المتزوج وأولاده مما له أثر سيئ جداً فى حياتنا الاجتماعية والمنزلية

وإنى أسأل الله أن يوفق العاملين إلى استئصال تلك الآفات الاجتماعية حتى تصبح أمتنا خير أمة أخرجت للناس

عبد الحميد فهمى مطر

الفـــن

للفيلسوف الفرنسى هنرى برجسون

ما هو الغرض من الفن ؟ لو قدر للحقيقة أن تصطدم بحواسنا وضميرنا ، ولو كان فى مكنتنا أن نتصل اتصالاً مباشراً بالأشياء وبأنفسنا ، إذن لكنت أعتقد بأن الفن شيء غير ضرورى . أو بعبارة أوضح لكنا نصبح جميعاً فنانين ، لأن أوتار نفوسنا ستهتز حتما بالاتحاد مع الطبيعة ؛ ولكانت عيوننا تؤازرها ذواكرنا ، تنقطع من الفضاء آيات من روائع الفن لتثبيتها على صفحة الزمن ؛ ولكان نظرنا يلتقط فى طريقه أجزاء من التماثيل منحوتة فى رخام الجسم البشرى الحى لا تقل روعة عن التماثيل الأثرية القديمة ؛ ولكنا نسمع نفحات حياتنا الباطنة تتردد فى أعماق نفوسنا كأنها ألحان موسيقية ، تارة مرحة وأطواراً مشجية، وفى الغالب غريبة غير مألوفة . كل ذلك يوجد حولنا، كل ذلك يوجد فينا ، ومع ذلك فاننا لا نميز بجلاء شيئاً من ذلك كله. إنه يوجد بين الطبيعة وبيننا، أو بالأحرى يوجد بيننا وبين ضميرنا الذاتى وشاح مسدول ، وهذا الوشاح يراه العامة من الرجال كثيفاً ولكنه فى نظر الفنان والشاعر خفيفاً حتى ليكاد يكون شفافاً عارياً . فأية حورية من الجن قد حاكت خيوطه الناعمة ؟ وهل نسجته خبثاً ودهاء أو مودة وتحبباً ؟ إن الحياة فرض واجب لا بد منه . والحياة تحتم علينا أن نتناول من الأشياء التى تكتنفنا ما نحن فى حاجة إليه فى علاقاتنا بها . إن الحياة موقوفة على العمل والمثابرة . والحياة هى ألا يقبل المرء من مؤثرات الأشياء المرئية إلا ما كان نافعاً ملائماً لطبيعته بحيث يتسنى له أن يجيب على اختلاجات هذه الأشياء برجمة متناسبة . وأما ماعداها من المؤثرات فيجب أن تضمحل وتتلاشى أو لا تصل إلينا إلا مضطربة مشوشة . . . إننى أنظر وأعتقد بأننى أرى، وأصغى وأعتقد بأننى أسمع ، وأدرس نفسى وأعتقد بأننى أقرأ فى أعماق فؤادى . بيد أن ما أراه وما أسمعه فى العالم الخارجى ليس إلا ما تستخلصه حواسى لإنارة طريق عملى . إن ما أعرفه من نفسى ليس إلا ما يتجلى للنظر ، أى ما يشترك فى العمل . وإذن فان حواسى وضميرى لا تكشف لى إلا عن ناحية موجزة من نواحى الحقيقة العملية . فى الرؤيا التى تمثلها لى حواسى وضميرى من الأشياء ومن نفسى، تتلاشى الفروق التى لاينتفع منها الرجل، وتتضاعف المشابهات التى يستفيد منها الرجل ، وتنجلى أمامى السبل التى سيطرقها عملى وهى السبل التى سلكتها الانسانية بأسرها وقطعتها من قبلى . إن الأشياء رتبت طبقاً للفوائد التى يمكننى أن أستخلصها منها ، وهذا الترتيب هو الذى أشاهده أكثر مما أشاهد لون الأشياء وشكلها . لا شك فى أن الرجل أرفع مكانة وقدراً من الحيوان من تلك الناحية ، وإنه لقليل الاحتمال أن تفرق عين الذئب بين الجدى والحمل ؛ فكلاهما فى نظر الذئب فريسة مستساغة ، وكلاهما سهل المنال ، وكلاهما صالح للالتهام . أما نحن فاننا نفرق بين المعزة والخروف ، ولكن هل ترانا نميز بين عنزة وعنزة وبين خروف وخروف ؟ إن فردية الأشياء والكائنات تغيب عنا كلما تبين لنا أن فى جلائها نفعاً مادياً، بل فى الأحوال التى تتبين فيها تلك الفردية (كما فى الظروف التى نتبين فيها الفرق بين رجل ورجل آخر) فان أعيننا لا تلتقط تلك الفردية بالذات ، أى بعض التآلف الغريب الذى يوجد بين

الأشكال كما يوجد بين الألوان ، ولكنها تلتقط لمحة أو لمحتين تسهيلاً للتحقق العملي من وجود الشبه بينهما

ومجمل القول أننا لا نري الأشياء في ذاتها وإنما نقتصر في أغلب الأحيان على قراءة ما هو مكتوب على البطاقات الملصقة بها . وهذا الميل الناشئ عن الحاجة يزداد كذلك تحت تأثير الكلام والنطق ، لأن الألفاظ (فيما عدا أسماء الأعلام) تعبر كلها عن الأنواع . إن الكلمة التي لا تعبر إلا عن ماهية الشيء المألوفة العادية ولا تدل إلا على مظهره المبتذل تنساب بين الشيء وبيننا فتحجبه عنا وتخفي شكله عن أعيننا إن لم يكن هذا الشكل قد توارى خلف الضروريات التي كانت السبب في خلق تلك الكلمة . ولا يقتصر الأمر على الأشياء الظاهرة وإنما يتمداه كذلك إلى حالاتنا النفسية التي تتواري عنا وتختفي وراء جوهرها الذاتي . عندما نشعر بالحب أو بالحقد ، وعند ما نشعر بالسرور أو بالكآبة ، فهل شعورنا بالذات هو الذي يصل إلى ضميرنا بآلاف التموجات الشاردة وآلاف الأصداء العميقة التي تجعل منه شيئاً من خصائصنا الذاتية المطلقة ؟ إذن لكنا نصبح كلنا روائيين ، وكلنا شعراء ، وكلنا موسيقيين . ولكننا في أغلب الأحيان ، لا نرى من حالتنا النفسية إلا انبسطها الظاهر . إننا لا ندرك من مشاعرنا إلا مظاهرها القريب عنا ، والذي حدد اللفظ معناه كلية لأنه يكاد يكون متشابهاً دائماً ، وظروفه تكاد تكون واحدة عند جميع الرجال . وهكذا فان الفردية تغيب عنا حتى في شخصنا . إننا نتحرك في وسط محيط من الاعتبارات والرموز كأننا بداخل دائرة محاطة بسياج تتبارى فيه قوتنا مع سواها من القوات ؛ فاذا ما سحرنا العمل وجذبنا إلى المجال الذي اختاره ، في سبيل مصلحتنا ، أخذنا نعيش في منطقة متوسطة بين الأشياء وبيننا ، خارجة عن الأشياء وخارجة عنا كذلك . بيد أن الطبيعة توجد ، على سبيل اللهو ، نفوساً أكثر انفصالاً عن الحياة . إنني لا أتكلم عن ذلك الانفصال المقصود الثابت بالبرهان والناتج عن التفكير والفلسفة ، وإنما أتكلم عن انفصال طبيعي يعد غريزياً في تقويم الحس والضمير، ويتجلى في الحال بطريقة بريئة للنظر والسمع والتفكير . فاذا كان هذا الانفصال تاماً ، وإذا كانت النفس تكف عن الاشتراك في العمل بواسطة حاسة من حواسها ، أصبحت تلك النفس نفس فنان لم ير العالم مثلها منذ الأزل . وإنها لتسمو في جميع الفنون معاً ، أو بمعنى أصح تصهر جميع الفنون في بوتقة لتخلق منها فناً واحداً ؛ وتنظر إلى الأشياء في سذاجتها وطهرها الأول . وكذلك تكون الحال في الأشكال والألوان وأصوات العالم المادي وأدق حركات الحياة الداخلية . بيد أننا لو فرضنا ذلك لكنا نحمل الطبيعة فوق طاقتها . ثم إذا نحن دققنا النظر في الذين اختارتهم الطبيعة من بيننا لتجعل منهم فنانين فاننا لا نلبث أن نتأكد من أنها لم تأت ذلك إلا عفواً عن غير عمد، وأنها لم ترفع الوشاح الذي يسترها إلا من جانب واحد ، ونسيت أن تقيد الشعور بالحاجة في اتجاه واحد . ولما كان كل اتجاه يقابله ما نسميه حاسة ، فان الفنان ينقطع عادة للفن بواسطة إحدى تلك الحواس وبتلك الحاسة فقط . من هنا نشأ تنوع الفنون . ومن هنا أيضاً نشأ تخصص الميول . فمن الناس من يتعلق بالألوان والأشكال ؛ ونظراً لأنه يحب الألوان لمجرد الألوان ، والأشكال لمجرد الأشكال، ويميز كلا منها لذاتها لا لذاته، فان الحياة الداخلية لتلك الأشياء هي التي تتجلى أمام النظارة خلال أشكالها وألوانها فيدخلها رويداً رويداً في إحساسنا المضطرب القلق من تلك المفاجأة . إنه ينزع عنا ، ولو لفترة قصيرة ، تلك القيود التي تربطنا بأوهام الشكل واللون التي ما فتئت تعترض أعيننا وتحول بينها وبين الحقيقــة . وإنه ليستطيع بذلك تحقيق أكبر مطمع للفن وهو — بالنسبة لموضوعنا — إزاحة الستر الذي يخفي الطبيعة عنا . ومنهم من ينطوون على أنفسهم ويقفون جهودهم على البحث عن الشعور وعن حالة النفس على ما هي عليه من سذاجة وطهر ، خلال آلاف الأعمال المتولدة التي تعبر عن الشعور، أو من الكلمة التافهة الاجتماعية التي تعبر عن حالة نفسية فردية وتستكملها . وإنهم — لكي يستحثونا على محاولة مثل هذا المجهود في أنفسنا — يجتهدون في إطلاعنا على شيء مما وقعت عليه أعينهم وبعبارات منتظمة موزونة يقولون لنا — أو بالأحرى — يوحون إلينا بأشياء لم توضع الألفاظ للتعبير عنها . وسواهم يبالغون في تعمقهم ويمعنون فيه ؛ فتراهم تحت ستار هذه الأفراح وتلك الأحزان التي يمكن التعبير عنها بالألفاظ ، يتمسكون بأشياء لا علاقة لها ألبتة بالكلام ، أو ببعض نغمات من نغمات الحيــاة والتنفس هي أعمق في صدور الرجال من أدق مشاعرهم لأنها تمثل الناموس الحي الذي يختلف باختلاف الأشخاص، ويعبر عن كبتها ووجدها ، وعن حسراتها وآمالها . فاذا استخلصوا تلك النغمات وضاعفوها فانهم يفرضونها علينا ويلفتوننا إليها ، ويعملون على

فن القـــراءة

للأديب نصرى عطا الله سوس

القراءة فن له قواعد وأصول . ومهما جد القارئ واجتهد فلن يحصل على ثمرة مجهوده إلا إذا اتبع تلك القواعد والأصول اتباعاً دقيقاً . وكلامنا هذا لا ينصب على كل ما يقرأ ، بل على الأدب وحده باعتباره أثمن وأرفع أنواع القراءة ؛ ولا على كل من يقرأ ، بل على من يعتبر الكتاب صديقاً ومرشداً ومعلماً ، ومن تضطرم فى قلبه جذوة الشوق إلى المعرفة وفهم الحياة والتمتع بها إلى أقصى حد ممكن واكتناه أسرارها

***

ينبع الأدب من قدس أقداس النفس ، يضمنه الأديب زبدة حياته ، وصفوة اختباراته ، وما يضطرم فى قلبه من آلام وآمال وما يصطرع فى ذهنه من آراء عن حقيقة الحياة والموت والقدر واللذة والألم والطبيعة والخالق وغيرها من مشكلات الحياة التى لن تحل أبداً . والأديب هو ذلك الشخص الدقيق الاحساس الرقيق الشعور الذى يتأثر بكل عوامل الحياة أتم التأثير وأقواه ، والذى منحته الطبيعة القدرة على التعبير عن آرائه وإحساساته التى دفعت به إلى الكتابة . والكتاب الجيد من أثمن النعم التى تتيحها الحياة لمن حبته الذوق والفهم ، لأنه خلاصة حياة عظيمة غنية واسعة الآفاق بعيدة الغور؛ وهو ينبوع عذب، فيه رى وفيه حياة لأثمن وأرفع ناحية من نواحى الطبيعة الانسانية . فالكتاب الجيد يعمق ويهذب شعورنا ويوسع آفاق نفوسنا ويقوى قدرتنا على التفكير ويفتح أعيننا على أنواع من الجمال لم نكن نعرفها أو نحس بها . والانسان منهوم بحب الحياة ، ودّ لو عاش أعماراً مضاعفة وتذوق كل ما تفيض به الحياة من لذات وآلام ، ولكن العمر شحيح . ومن جهة أخرى فالحياة بخيلة لا تتيح أو تسمح لكل إنسان أن يقلب أبصاره بين آفاقها ويخوض بحارها باحثاً عن دررها . لم تتح الطبيعة هذا إلا لأشخاص معدودين جملت كل واحد منهم أشبه بقيثارة تستنطقها كل أنغامها ، وهم الأدباء والشعراء . وبقراءة ما خلف هؤلاء نشبع حب الحياة فى نفوسنا . فالكتب تضيف أعماراً إلى أعمارنا ، وهى سياحة فى المكان والزمان . فالقارئ الجالس على كرسيه فى غرفة ضيقة يطوف بذهنه فى فجاج الأرض كلها ، بل يرقى إلى السماء ويتملى أنوارها ، ويرتد إلى الماضى السحيق يحدق فى كهوفه وظلماته ، ويتقدم إلى المستقبل البعيد يتملى بهاءه وجلاله . فاذا كان الأدب على هذه القيمة والأهمية فكيف نقرأه ؟

١ — أول شروط القراءة هو حسن اختيار الكتاب، فالعمر لا يتسع لقراءة كل ما كتب فى لغة واحدة — ناهيك بأدب أمتين أو ثلاث — ولا كل ما كتب يستحق القراءة . والملاحظ أن الأدباء — وهم أحسن من يجيدون القراءة — لا يعيرون أهمية كبيرة لما يكتب فى عصرهم ، بل يوجهون كل اهتمامهم إلى الكتب التى أثبت الزمن قوتها وحيويتها وقدرتها على البقاء . والزمن وحده هو الذى يحكم للكتاب أو عليه ؛ والزمن وحده هو الذى حفظ لنا هوميروس وأفلاطون وشكسبير وأضرابهم ، لأن أدبهم يشتمل على عناصر الحياة الجوهرية التى لا حياة بدونها . وكم من أديب عاش ومات فى غمرة النسيان ! وكم من

الاندماج فيها عفواً وبغير ما دافع منا كما يندمج المتفرج فى حلبة الرقص دون أن يشعر ، ويحملوننا بذلك على أن نهز فى خبيئة نفسنا أوتاراً متحفزة ترقب من يلمسها لتصدح وترتفع نغماتها

فسواء أكان الفن رسماً أو تصويراً أو شعراً أو موسيقى فلا غرض له إلا أن يبعد الرموز النافعة والاصطلاحات المشروعة المسلم بها فى المجتمع وكل ما يستر الحقيقة عنا ليقف بنا إزاء الحقيقة بالذات وجهاً لوجه . إن الجدل بين المذهب الوجودى والمذهب المثالى فى الفن نشأ من نزاع على تلك النقطة . فلا شك فى أن الفن ليس إلا مظهراً جلياً مباشراً للحقيقة ، بيد أن هذا السمو فى الادراك يستلزم القطيعة مع العرف المصطلح ، ونزاهة غريزية محصورة في الحس أو الضمير ، كما يستلزم كذلك شيئاً من اللامادية فى الحياة وهى ما اصطلحوا على تسميته دائماً بالمذهب المثالى ، بحيث يمكن القول ، بغير ما تورية أو مجاز ، بأن المذهب الوجودى هو فى العمل بالذات، بينما المذهب المثالى هو في النفس، وأنه لا يمكن العودة إلى تلمس الحقيقة إلا بقوة الخيالية دون سواها

هنرى برجسون
ترجمة سليم سعدة

أديب تألق ثم خبا ! وكم من أديب يعيش على فضول الكتاب والقراء. علينا أن نهمل كل هؤلاء وأمثالهم وأن ننتخب ما نقرأ من بين أحسن ما كتب. هذا إذا أردنا أن نحيا حياة ذات قيمة.

٢ — العامل الثانى هو إجادة القراءة. فهناك قراء يوجهون كل همهم إلى الاحاطة Comprehensoin وينسون الاجادة Apprehensoin، والعنصران قلما يجتمعان إلا فى القليل النادر. وقراءة كتاب واحد قراءة تفهم وإمعان أجدى من قراءة عشرة كتب قراءة سطحية. إن الكتاب — كما قلنا — هو زبدة حياة المؤلف، والقارئ النابه لا يتجه إلى مجرد القراءة العابرة، بل إلى تكوين صلات وعلاقات مع المؤلف. فلنجعل نصب أعيننا صداقة المؤلف يجب أن نفهم الكاتب كما نفهم صديقاً: نحيط بظروف حياته: آماله وآلامه، أحلامه وهمومه، فكهاً أو وقوراً، متفائلا أو متشائماً، وهكذا ... والخلاصة أنه يجب أن نفتح قلوبنا ليصب الكاتب فيها دمه ونترك ذلك الدم يجرى حاراً فى عروقنا

٣ — العامل الثالث هو نظام القراءة، فكثير من القراء يتبعون فى مطالعاتهم سبيلاً ملتوية: كتاب من الشرق وآخر من الغرب؛ كتاب حديث وآخر قديم؛ وهكذا دون ضابط ولا نظام. وهذا المسلك قلما يثمر بل الواجب أن نختار كاتباً معيناً ونقرأ كل ما كتب، لأن كتب الكاتب ما هى إلا جوانب متعددة لشخصية واحدة، ولا حق لنا أن نتحدث عن كاتب أو نصدر عنه حكما إلا إذا درسنا أدبه دراسة وافية كاملة. ويجب أن نتبع فى هذه الدراسة نظاماً خاصا، فيجب أن ندرس كتبه حسب ترتيب كتابتها، فلا نتناول إنتاجه فى أوان شيخوخته، ثم فى أوان شبابه الأول، ثم فى أوان نضجه، بل يجب أن نبدأه بقراءة باكورة إنتاجه، ثم ما تبعه، ثم ثالث كتاب أخرجه، وهكذا ... وبهذا فقط يتاح لنا أن نعرف تأثير الحياة والتجارب فى تطور شخصية الكاتب: كيف شق لنفسه طريقاً إلى فلسفته؟ وكيف خاص إلى آرائه عن مشكلات الكون؟ هل ابتلته الحياة بالفتور واليأس؟ هل شك فى عدالة الكون وعاف الحياة؟ أم هل انجلت عن ناظريه عمايات الصبا وغواياته ودعا إلى الحياة الفاضلة مؤمناً بالله مبرراً سلوكه مع الانسان؟ هل بقى ساخراً لا يعرف لنفسه فلسفة ولا يخلص إلى عقيدة حتى ذهب فى طريق من ذهب؟ وما أثر ظروف حياته من فقر وغنى وصحة ومرض فى نفسه؟ هل تغلب عليها واحتفظ بنضارة قلبه وسلامة روحه؟ أم تركها تتسرب إلى أدبه وتكسبه لونها الخاص؟ هل تأثر بروح عصره وجارى سلفه ومعاصريه أم أثر هو فى روح العصر ووجه الأدب فى طرق جديدة وتناول بالنقد والتفنيد ما استهجنه ودعا إلى مثل جديدة؟ وما أسباب كل هذه المسائل ودواعيها ...؟ هذه كلها موضوعات يهتم بها القارئ الحصيف، ولكن لا يمكنه أن يكون رأياً عادلا عنها إلا إذا قرأ بنظام. بهذا فقط يتأتى لنا دراسة الحياة نفسها دراسة شاملة تفهمنا روحها وطبيعتها وفلسفتها. إن التفكير المجرد قلما يخلص بالمرء إلى نتائج سليمة، وعلماء النفس فى الوقت الحاضر يدرسون مخلفات الأدباء بهذه الطريقة التى أسلفنا ويكونون نظرياتهم على هدى تلك الكتب، ذلك لأنها تنبع من صميم الحياة الواقعية، والحياة أعمق وأشمل من أن يحكم المرء عليها وليس وراءه إلا تجاربه؛ والفلسفة قلما تسعف الانسان بعقيدة تنير حياته وتجملها، بل هى غالباً تبتليه بضروب الشك فى قيمة الحياة والحيرة فى معناها. ولكن الأدب وحده ينبع من أعماق الحياة ويصور ما نعانيه ونحسه من آلام وآمال، وهو الصورة الحقيقة الصادقة للحياة كما هى. بعكس الفلسفة فهى سياحات «فكرية» فى عالم المجهول، وما من مذهب فلسفى إلا ومذهب آخر يناقضه، وكل له دعائمه وبراهينه؛ فلا عجب إذاً أن يترك علماء النفس كتب الفلسفة إلى الأدب يهتدون بهديه فى تكوين نظرياتهم

٤ — العامل الرابع هو المقارنة: كيف يمكننا بعد ذلك أن نقدر الأديب تقديراً صادقاً ونصدر حكمنا له أو عليه؟ لا يمكننا أن نفعل ذلك إلا إذا درسنا معاصريه وتبينا أين يتفق معهم وأين يختلف عنهم، لأن ظروف الحياة التى أثرت فيهم واحدة لأنهم أبناء عصر واحد، ولكنها أثرت فيهم تأثيراً مختلفاً، وسبب هذا الاختلاف هو تباين طبائعهم ومشاربهم، وبالمقارنة والموازنة بين المعاصرين يتسنى لنا أن نميز الأديب الكبير من غيره. فدراسة معاصرى شكسبير مثل بن جونسون ومارلو وبومنت وفلتشر،

ولي الدين يكن

للأستاذ كامل يوسف

اطلعت على مقال الأستاذ كرم ملحم كرم عن المرحوم ولي الدين بك يكن. وبما أنني اتصلت بأسرة الشاعر اتصالاً كلياً أثناء إقامتي بحلوان فاسمحوا لي أن أصحح ماقيل من أنه مات مسلولا. والحقيقة أنه كما ذكر الكاتب كان يشكو الربو، وكان يلجأ إلى تخفيف وطأته عليه بحقن المورفين، وقد أدمن على تعاطيه حتى ضعفت صحته فمات من الانفزيما، وورث ابنه الشاعر الكبير فولاد يكن هذا الداء وأدمن عليه حتى قضى على صيته الأدبي الذي كان يبشر بمستقبل باهر

كان المرحوم ولي الدين بك يكن ثائراً على القديم في كل شيء، وكتاباته التي كان ينشرها في المقطم تحت اسم « زهير » وجمعت فيما بعد في مجلدين شاهد على ذلك. وتجديده في الشعر والنثر لا ينكره أحد. وله مؤلفات عدة كلها تدور حول كفاحه في سبيل الحرية ومناهضة الظلم. وكان أبي النفس فكان يرفض أن يبيع ضميره؛ وطالما حاول أصحاب النفوذ إغراءه بالمناصب العالية والخير الوفير نظير إيقاف حملاته عليهم، ولكنه أبى أن يبيع ضميره ورضى بحياة البؤس، ولا يصدق إنسان أن أثاث منزل ولي الدين بك يكن كان كأحقر منزل رجل عادي وهو سليل أصهار العظماء، وذلك كله في سبيل تحقيق غايته من نصرة الحرية والمظلوم ومحاربة القوة الغاشمة

ولولي الدين يكن مؤلفات كثيرة طبعت، ونشرت وله مؤلفات لم تنشر، وقد جمعت السيدة زوجته (وهي أرمنية) بعض أشعاره ونشرتها على أمل أن تحصل منها على شيء يقوم بحاجة الأسرة الفقيرة، ومن مؤلفاته رواية تمثيلية تدور وقائعها في تركيا على تحرر تركيا الحديثة وإعلان الدستور وعن الدسائس والمظالم في عهد السلاطين، وهي الأشياء التي خبرها ولي الدين بك بنفسه وأجاد الكتابة فيها. وكنت اتفقت مع أسرة الشاعر على تنقيحها لتمثيلها على المسارح المصرية لولا ما حاق بالأسرة من نكبات، منها خيبة كريمته الوحيدة (وكانت تسمى فكتوريا أحياناً وزينب في أحيان أخرى) في زواجها على الدوام، ومنها النكبة التي حلت بابنه الشاعر فولاد إذ انحدر إلى هوة إدمان المخدرات

وكان مما لاشك فيه أن ولي الدين بك يكن سيخلد ذكره في شخص ابنه فولاد يكن، وهو من الشعراء المصريين الأفذاذ الذين كتبوا بالفرنسية، وقد أعجبت بنبوغه الكونتس ڤالنتين دي سان بوا حفيدة لامارتين (وهي من كبيرات الكاتبات والشاعرات بفرنسا) فاحتضنته، وقدمته لدور النشر في باريس فنشروا له ديوانه البديع « أغاريد شاب شرقي » وهو ديوان شعر يفيض بالعاطفة والجلال والجمال، تقرأه فتجد فيه روح أهازيج شكسبير، وقد نقده كبار الكتاب في فرنسا وأعجبوا به، وقال عنه الكاتب الفرنسي المشهور « بول ريبو » إنه يفيض بالروح البيرونية نسبة إلى بيرون، ونعت الشاعر بأنه همزة الوصل بين مصر وفرنسا. وكان فولاد قوة هائلة في العمل الأدبي، فقد كتب تاريخ « سعد زغلول أب الشعب » في أسبوع ونشر في فرنسا. وله ديوان كبير اسمه « أغنية الأرض » وهو ملحمة كبيرة مكونة من عشرين ألف بيت عن الحياة وتطوراتها وتاريخ البشرية حتى اليوم. وقد أرسل هذا الديوان لفرنسا لنشره، ولكن منع ظهوره تخلي الكونتس دي سان بوا عنه لما ساء صيته الأدبي من إدمانه على المخدرات وتركه الأدب والالتجاء إلى التسول مما أحزن قلوب جميع من لمسوا في هذا الشاب النبوغ المبكر

ومن الطريف أن يقارن الانسان بين الشاعر الوالد والشاعر الابن، فقد نظم ولي الدين بك قصيدة عن كليوبترا، كما نظم ابنه فولاد قصيدة عنها في ديوانه « أغاريد شاب شرقي » ولا أنكر أنني أعجبت بخيال صديقي فولاد ومعانيه وحسن أسلوبه، ويمكنني أن أقول إن الولد بز أباه في هذا المضمار

وقد اشتغل فولاد في الصحف الفرنسية مدة طويلة، ولكنه أعلن عليها الحرب وناهض أصحابها في اعتقاداتهم الفكرية، وكانت نتيجة ذلك أن منع من التحرير في الصحف الفرنسية، وأنشأ له جريدة أسبوعية لم تعمر طويلا. وكان له قدرة هائلة في الأدب. وكان يترجم شعر العقاد وشوقي شعراً بكل سهولة؛ وكان إذا نظم لايترك مكانه قبل أن يكتب نحو مائتي بيت، ولكن الداء قضى على كل هذه المواهب. عزى الله الأدب عنه وعوضنا منه خيرا

كامل يوسف

عضو بالمعهد الفسلفي البريطاني

من روائع أدب الغرب

الإنســـــان

L'HOMME

لشاعر الحب والجمال لامرتين

للأديب حسين تفكجي

— ١ —

« أرسل إليك يا صاحبة السمو ، قبل أن أضع رأسي على الوسادة ، الكتاب الصغير الذي تفضلت باعارتي إياه البارحة ، ويكفيك أن تعرفي أنني لم أنم وبقيت ساهراً ، حتى لاحت تباشير الصباح ، وخرجت طيور الفجر من أعشاشها ، لأتم قراءته ولأطلع على ما احتواه بين جلدتيه ، من روائع المعاني ، وجميل القول . سوف لا أتنبأ لك بشدة تأثيره في أذواق الجمهور من القراء إذ يكفي أن أجعل من نفسي ذلك الشعب الذي سيطلع على هذا الكتاب لأقول : إن هناك رجلا ، وسيشغل الكثير من صفحاتنا »

« من كتاب تاليران إلى الأميرة تالمون »

— ٢ —

« وعقب مدة قليلة أثار هذا الكتاب فضول الطبقات الراقية في الروسية . فان النبيلات تجادلن وتسابقن لاقتناء نسخة منه ؛ فالتي خانها الحظ ولم تحظ باقتناء هذه النسخة ، كانت تكتب في دفترها مقاطع من أجمل الأشعار التي قالها لامرتين ، وتجبر نفسها على حفظ أشياء منها . فالسعيد من اقتنى كتاباً من (التأملات) إذ كان يحرص عليه كمن يحرص على مفتاح النجاح وطريق السعادة

« من مذكرات أتون شي »

— ٣ —

يا لجريمة لامرتين الفظيعة ! فهو سبب نصف جنوننا ، فنساؤنا يردن أن يكن أمثال إلفير

« فكم أصابنا البرد وألزمنا الفراش أياماً طويلة ، لأننا أردنا أن نتمثل شعره ، فسرنا على شاطىء البحيرة الزرقاء ، نتأمل جمال القمر في السماء ، وبدائع أمواج الماء ، وروائع الطبيعة على الغبراء ، في الليالي الباردة التي كانت تحمل إلينا معها نسيم الليالي الغابرة التي قطعها لامرتين ، بينما عوامل الأمراض تنازعنا قوانا وتتسلط على أجسامنا »

« إن لامرتين واللورد بيرون ، أدارا رؤوس نساء الجيل الحاضر ، ولفتا أنظارهن إلى عظمة الوجود والحب »

« الكونتس داش »

— ٤ —

أيها الشاعر الباكي ، أيها الناظم الشاكي ، أيها المؤلف الغائب عن عيني ، إنك رمز الجبن والخوف

« فما أشبهك بورقة خريف جففت يد القدر خضرتها ، وجردتها من رائع نضرتها ، تناقلها نسمات النهار الباردة بين وديان غير معروف مداها ، وجبال غير مفهوم منتهاها ، تحط دون أن تعرف أين ، وترقب النسيم ليرفعها من مكانها إلى حيث لا تعرف إلى أين !

ما ذا يحوي شعرك من جمال ؟

ما الذي يضم بين أبياته من نضرة ؟

لا شيء !

ما معنى الشاعر المحتضر ؟

قصيدة يأس من الحياة وخوف من النضال من أجل الوجود .

أيها الحيوان الباغم ، لست أول نائم على أريكة خضراء ، فقد سبقك كثيرون ، ولكنك كنت موفقاً في التعبير عما تكنه جوارحك

« موريس ألبر »

* * *

آراء متناقضة ، سطرتها أقلام كتاب متباينين ، لتقدير مزايا ومساوئ شاعر ، فمنهم من تأمل في قطعة الخلود ، وعرف في شعره معنى الحياة ، وفهم بين أبياته مفهوم الحقيقة ؛ ومنهم من حمل على هذا الشاعر الباكي الذي لا يرى فجر الحياة إلا من وراء منظار أسود ، ولا يتأمل وجه البسيطة إلا بالنشيج والبكاء . فكل ما يقع تحت عينيه يرمز إلى ذلك الحب الذي قضى وحل اليأس مكانه في سويداء الفؤاد

نحن لم نأت بهذه الآراء لنوازن بينها ، ولنميز بين حسنها وقبيحها ، بل أتينا بها لأنها تعبر عن موجة الأفكار التي اجتاحت عصره ، وعن الأثر الذي أحدثه كتابه الصغير « التأملات » الذي أصدره الشاعر ، فنترجم قطعة من شعره سماها « الانسان » وأهداها إلى اللورد بيرون الشاعر الانكليزي الذي قتل في حرب استقلال اليونان ، والذي كان لامرتين معجباً بشعره ، مأخوذاً بروعة ألفاظه إذ قال : اللورد بيرون في نظري هو أكبر شاعر

عرف الطبيعة فى زمننا الحاضر . إن من شعره ما يسكرنى ، وإن من بيانه ما يسحرنى ، إذ وجدت فى أقواله خيوط أمل تربط أصواتاً تجيش فى صدري ، وتفور فى سويدائى »

ولكن بالرغم من أن تفاؤل لامرتين يقابله شك بيرون ، فان الشاعر لم يجد مانعاً من أن يرسل هديته إلى نقيضه فى أقواله لأنه أراد أن يجره إلى أفكار أقل شيطانية من أفكاره الأولى فهل أصاب أو أخطأ ؟ لا نعرف ! بل نحكم عليه بعد قراءة الشعر الذي أرسله إلى الشاعر الشاك

الانسان

— ١ —

أنت الذي يجهل العالم اسمك الحقيقى ، أيها الروح الخفى الشاك . مهما كنت يا بيرون شيطاناً أو ملاكا ، عبقرية ميمونة أو مشؤومة ، فان أغانيك تصوب إلى نفسي بريق الأمل ، وتحمل إلى روحى دعة الحمل

أعشق فى أشعارك الخالدة أنغامها الغريبة كما أعشق ضوضاء العاصفة المحتدمة ، الذى يمتزج بهدير الصاعقة ويعلو مع أصوات الشلالات المنحدرة

إلى الليل تأوى ، وإلى الرعب تلجأ

ما أشبهك بجبار الفضاء ، وملك الصحاري ! بالنسر الذى يكره السهول ولا يهوى سوى الصخور الوعرة ، التى ألبستها يد الشتاء ثوبها الناصع ، والتى تفتتت تحت ضربات الصواعق المتوالية . يجد لذته على شواطئ غطيت بحطام البواخر الغارقة ، وملئت بأشلاء السفن المحطمة . ويذهب عنه حزنه مرأى الحقول المخضبة بدماء المعركة . بينما البلبل الغريد ، ينشد أسقامه ، ويغنى آلامه ، وهو يبنى عشه على شوطئ السواقى الجاريات ، بين الحقول الزاهرات

يجد النسر لذته فوق قمم الأنوس ، التى تخترقها الذرى الحادة كأسنة الرماح ، فيشق فضاءها بجناحيه ، تاركا ظله يرتسم فوق الهوات الفاغرة فاها . وهناك وحيداً يصيخ لصيحات الفريسة المتعالية التى تحيط به أعضاؤها المختلجة ، فوق صخور تقطر زواياها دماً . وعندما تحتدم رياح العاصفة ينام مسروراً فوق بقاياها

— ٢ —

ما أشبهك بنسر السماء هذا يا بيرون !

فان أصوات اليأس أجمل أغانيك

الألم هدفك ، والرجل ضحيتك

سبرت بعينك كالشيطان غور الهوة طياتها نفسك ، غمرت بعيداً عن الإلّه والأضواء ، بعد أن ودعت أملاً راحلاً . فأنت مثله اليوم تسيطر على الأرجاء المظلمة ، والأصقاع المعتمة . فاجعل عبقريتك التى لا تقهر تعلو بلحن جهنمى ، وتنشد أنشودة الظفر تحت ظلال عرش إلّه الشر

— ٣ —

ولكن أية فائدة تجنى من نضال النهاية المحتمة ؟

بأى شيء يدفع العقل المنيد القدر ؟

ليس له كالعين ، إلا أفق محدود !

فلا تسدد جميل أنظارك إلى أبعد من هذا المدى ، ولا تقدح زناد فكرك دون نفع وسدى ، فتجد كل شيء منا يفر . الكل ينطفئ كالشمع . الكل يمحى من الوجود . ولكن كيف ؟ ولم ؟ من يعرف ؟ فان يديه القادرتين قبضتا على الوجود والبشرية ، ونشرتا فى حقولنا الغبار ، وجملتا الأهواء والظلام والأنوار . فهو يعرف ما يعمل . وهذا يكفى فالكون تحت إمرته ويده ، وليس لنا سوي اليوم الذى نعيش فيه

إن جريمتنا هى أننا بشر ، فينا فضول المعرفة .

ولكن الجهل والخضوع هما قانونا هذا الوجود .

بيرون ! إن هذه الكلمات قاسية عليك .

ولكن لم التراجع أمام الحقيقة ؟

إن شرفك أمام الاله هو أنك صوغ يديه ، فاشعر واخضع فى سجنك المقدس .

أنت ذرة محمولة ، تموج فى هذا النظام العالى ، فتمم إرادته بطاعتك ، لأنك مخلوق بارادته ، وحياتك تمجد هذا الوجود الذى تموت فيه ، حيث مصيرك .

أواه بعيداً عن الاتهام . قبّل ذلك الرسف الذى تحاول تحطيمه، واهبط من صفوف الآلهة التى تذهب جرأتك ، فالكل جيد ، والكل جميل ، والكل عظيم فى مكانه . ففى ناظر خالق الوجود تحوى الحشرة عالما بنفسها .

— ٤ —

ولكنك تقول إن هذا القانون يثير عداءك ، ولا يعدو فى نظرك عن هوى غريب ، وشرك نصب ليكبو العقل فى كل خطوة يخطوها .

لنعترف بذلك يابيرون دون أن نحاكمه .

ما أشبهني بك . فعقلي انغمر في الظلمات ، ولكن ليس على أن أشرح لك حقيقة العالم ، فالذي أبدع الوجود يلقنك الدرس الوافي .

كنت كلما سبرت عمق الهوة ضمت في فيافيها .

وفي هذه الدنيا لم أر سوى الألم يرتبط بالألم، والنهار يتبع سير النهار ، والشقاء يلازم ظل الشقاء ، والانسان السخيف بطبيعته ، اللامتناهي بنذوره ، إله زل من عليائه ، يفكر في سمائه .

حرم مجده القديم ، فاحتفظ من مقدراته الضائعة بالذكرى

وغور ميوله السحيق يتنبأ عن عظمته المقبلة .

إذا علا أو سفل ، فالانسان سر عميق .

مقيد في سجن الحواس ، على هذه الأرض . أسير يشعر بان له قلبا وله يتنشق نسيم الحرية .

فياله تعساً يتملل بالأماني .

ويريد سبر غور العالم ، بناظريه الضعيفين

ويود أن يعشق دائما لولا أن ما يحب سريع الفناء .

كل فان يشبه طريد جنة عدن ، عندما طرده الإله من الجنة السماوية ، فلمح بنظره الحدود المشؤومة التي تحيط به ، فجلس باكياً على الأبواب المغلقة دونه . سمع من بعيد ، من المسكن الالهي زفرة الحب الخالدة ، ونغمات السعادة ، وأغاني الملائكة المقدسة ، تصل إلى أحضان الإله لتمجد فضائله ، فهبط من السماء ، ثم أطلق نظراته من عنانها ، فوقعت على مصيره المؤلم ...

— ٥ —

يا لبؤس من يسمع أناشيد عالم يهواه وهو ناء في منفى الحياة السحيق !

يرى الطبيعة تناضل خمر الخلود التي ارتشفها

يتأرجح كالحلم ، عندما يرى الحقيقة ضيقة في مكانها ، والمستحيل واسعا في فضائه ، والروح مثقلا بالميول لا يجد مأوى يغرف منه حباً وعلوماً أبداً . والرجل في محيط الجبال والنور ، ظمآن ، لا يروى غله ، فيسكر بالأحلام ، كي تعذب رقدته ، ويعود إلى نفسه إذا ما فاجأته يقظته

— ٦ —

وا أسفاه ! ما كانت آخرتك ؟ وما هي مقدراتي ؟

فقد شربت مثلك ، كأس الشك مترعة

وعيناي كعينيك ، فتحتا الأجفان دون أن تنظرا !

فعبثاً فتشت عن كلمة الوجود . طلبت أسبابه من الطبيعة . سألت آخرته من كل مخلوق . واستفهمت من القلم حتى ألم . فرجع طرفي كليلا ، ونظري حسيراً ، قبل رؤية قرار هوة العالم

كشفت غطاء الأزمان التي هرعت ، وأرجعت الأجيال التي مرت ، ماراً بالبحار ، مردداً أقوال الفلاسفة ، ولكن العالم بقي أمامي ، كما هو أمام علماء اللاهوت « كتاباً مغلقاً »

ولأتبين كنه الطبيعة كنت أفر بروحي إلى أحضانها

وخيل إلي أني أجد معنى لهذه اللغة الغامضة ، فدرست القوانين التي تدور حبها ، أجرام السموات ، فكان نيوتن يعتمد عيني في سهولها المنيرة. تأملت بقايا رفات المواهل ، ورأيت رومة متدثرة في ظلمات قبورها المقدسة ، والقديسين وقد أقضت مضاجعهم. وزنت بيدي رفات الأبطال ، وطلبت منه معنى الخلود الذي يأمله كل البشر ، ولكن لم أجد في هذا الغبار الفاني معنى الخلود

ماذا أقول ؟

لازمت سرير الموتى ، لتفتش نظراتي عن معناه في العيون المحتضرة

وعلى هذه الذرى التي توجتها الثلوج مدى الدهر

وفوق هذه الأمواج التي خطتها عواصف الرياح

ناديت دون مجيب

اقتحمت عثار الأحجار وظننت كالعرافة أن الطبيعة بمشاهدها النادرة ستريني إلينا باحدى عجائبها، فأحببت أن أغمر نفسي في هذه الرغبات الصامتة التي تتوالى

ولكني ، في سكوتي وهياجي ، فتشت عبثاً عن كنه هذا السر العظيم ، فرأيت في كل مكان إلها لا أفقهه . رأيت الشر أثر الخير دون خبرة ، ودون هدف يسيران كالصدفة ، رأيت في كل مكان الشر يختار ، فجدفت بحق السماء دون معرفة ، فرن صوتي ولاحق السماء كالصدى المدوي ، ولكنه لم يرهب القدر ، ولم يغضب المصير

« البقية في العدد القادم » حسين تنكجي

مقدمة المنهج الجديد

لتدريس الدين فى مدارس الشام

للأستاذ الشيخ بهجة البيطار

« فى مصر اليوم ميل قوى إلى الاقتراب من سائر البلدان العربية ، وتوحيد برامج التعليم فيها جميعاً . كما أن فى مصر نهضة إسلامية قوية ، امتدت إلى ديار الشام فحفزت وزير معارفها الجليل إلى إجابة طلب الأمة وتلبية نداء مؤتمر العلماء ، فزاد ساعات الدروس الدينية فى المدارس الابتدائية والثانوية ، وأصلح مناهجها ، وهذه هى المقدمة التى كتبها عالم الشام (كما كان يسميه الامام السيد رشيد رضا) الأستاذ الشيخ بهجة البيطار بتكليف من الوزارة لمنهج الدين فى المدارس الثانوية ، اقترحت عليه نشرها في الرسالة لأن فيها دليلا على حركة فكرية جديدة فى بلاد الشام ومن مبدأ الرسالة تسجيل الحركات الفكرية ولأن فيها عوناً على ما نريد من توجيه برامج التعليم فى الأقطار العربية ، ولأنها بعد هذا كله فصل علمى قيم »

على الطنطاوى

الاسلام دين عام لجميع الشعوب والأقوام « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » والقرآن هو الذى هدى مَن دانوا به من الأمم إلى جميع ما تمتعوا به من صنوف النعم ، وهو الذى أظهر على أيديهم تلك المدنية الزاهرة ، التى جددت ما اندرس من المدنيات الغابرة ، وأوجدت أصول مخترعات الأمم المعاصرة . وبناء على هـذا الأساس ، نوجّه أنظار الأساتذة الكرام وأفكارهم إلى ما يأتى : —

١ — بيان أن القرآن الحكيم هو الذى هدى السلف إلى الجمع بين مصالح الروح والجسد ، فهم بعد أن سمت عقولهم بالتوحيد ، وزكت نفوسهم بضروب الأخلاق والعبادات ، عُنوا أشد العناية بالعلوم والفنون النافعة التى عدّها الاسلام من الفروض ، وأوجبها على الأمة إيجاباً لا هوادة فيه . قال تعالى : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » وهذا النظر على عملى ينتج أفضل النتائج والثمار ، وقال : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه » وهذا التسخير تسخير تمكين وانتفاع ، واكتشاف واختراع ، وقال : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » وهذا خطاب عام لهذه الأمة يدعوهم ويوجه نظرهم إلى ماخلق تعالى فى جوف هذه الأرض من الكنوز والمعادن ، ويرشدهم إلى الاستفادة منها ، ويثبت أن جميع ما استحدثته أمم الغرب فى هذا العصر من القُوى البرية والبحرية والجوية ، ومن قوى الكهرباء ، وسائر ما ظهر في الوجود من المخترعات والمكتشفات ، هو مما أرشد إليه الاسلام، فردُّه ردٌّ لنصوص القرآن ، وتعطيل لأحكامه ، وتجريد لهذه الأمة من كل ما يعزز قوتها وينمى ثروتها ويحمى حوزتها ويدفع عوادى الشر عنها . وأى جناية على الاسلام وأهله أشد من هذه الجناية ؟

٢ — بيان موافقة تعاليم القرآن وهدايته ، لمصالح البشر فى كل زمان ومكان ، وأن مثل هذه الآيات الكريمة السابقة هى التى أرشدت سلفنا الصالح إلى ما فى السموات من أسرار ومنافع ، وما فى الأرض من كنوز وذخائر ، فارتقت عقولهم وأفكارهم بالعلوم الالهية ، والفنون الصناعية ، إرتقاء سادوا به الأرض ، وساسوا به العالم سياسة هى فى نظر المطلعين على تاريخ الأمم القديمة والحديثة أفضل مثال للعدل والرحمة ، ثم بيان أن شقاء البشر الحاضر العام لأمم الحضارة وما فيها من فوضى الآداب والاجتماع ، لا يزول إلا باتباع هداية الدين

٣ — تطبيق ما فى القرآن الحكيم من المواعظ والعبر ، على حال أهل هذا العصر والاتيان بالشواهد والأمثال على ذلك ، وبيان الفرق بين ماضى المسلمين وحاضرهم ، وحجة القرآن الكريم عليهم

وهذا كله من موضوع علم التفسير : تذكر هذه الآيات الكريمة بمناسباتها وتفسر بالظاهر المتبادر منها ، بأسلوب ينطبق على أذواق الطلاب وأفهامهم ويحملهم على العمل بها فى أنفسهم وفى أمتهم

٤ — مما يجب بيانه فى دروس التوحيد قولُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه « إنما تُنقض عُرى الاسلام عروة عروة ، إذا نشأ فى الاسلام من لم يعرف الجاهلية » وهنا يبين أن العرب كانوا فى جاهليتهم مؤمنين بوجود الله تعالى ، موحدين له فى أفعاله من خلق ورزق وإحياء وإماتة ، وتصريف لجميع الأمور . وهذا هو المسمي « توحيد الربوبية » ويستشهد لذلك بالآيات الكريمة كقوله تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولُن الله » و كقوله : « قل من يرزقكم من السماء والأرض ... الآية » و كقوله : « قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ... الآيات »

وإنما كان شركهم فى توحيد الألوهية ، أى فى توحيد العبادة ، وهو أنهم لم يقصروا عباداتهم بأنواعها على مستحقها وهو الله وحده كالدعاء والخوف والرجاء ، والاستعانة والاستغاثة ، والذبح والنذر ليقربوهم إلى الله على زعمهم ، قال تعالى : « ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ... الآية » وقال تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ... الآية » فردّ الله عليهم هذا الزعم الباطل بهذه الآيات نفسها ، وبالآيات السابقة فى توحيد الربوبية « ولئن سألتهم » « قل من يرزقكم » وأقام عليهم الحجة بمـا أقروه من انفراده تعالى بأفعال الربوبية ، على ما أنكروه من وجوب إفراده تعالى بالعبادة

ومن صنيعهم أنهم كانوا فى الشدائد يخلصون لله فى الدعاء كما قصّ علينا من شأنهم بقوله : « فإذا ركبوا فى الفلك دَعَوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر إذاهم يشركون »

٥ — من المهم بيان أن الخوف نوعان : خوف عادة كالخوف من عدوّ أو سبع مثلاً ، وهذا خوف طبيعى لا محذور فيه ، وخوف عبادة ، كالخوف من تصرّف غائب أو ميت ، بعباد الله ، كتصرّف الله بمخلوقاته ، وهذا فيـه كل المحذور لأنه يتضمن اعتقاد أن لبعض المخلوقات قدرة على التصرف بأنفس الأحياء وأموالهم ، كقدرة الله تعالى ، وهذا يخالف الحس والواقع ، ويناقض عقيدة التوحيد بأفعال الله تعالى . وهكذا سائر الصفات منها طبيعى ومنها غير طبيعى ؛ فمن الطبيعى مثلاً خوف موسى عليه السلام من عصاه لما انقلبت حيّة « قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى » ومن غير الطبيعى حب بعض المخلوقات حب عبادة ، كما يحب المؤمن ربه ، قال تعالى « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله » أو خشيتُـه كما يخشى المؤمن ربه ، ومن شواهده قوله تعالى « إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية » ومن الأول أيضاً (أى الطبيعى) : «أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » ومن الثـانى (أى دعاء العبادة) : « وأن المساجد لله ، فلا تدعوا مع الله أحداً » وهكذا الاستعانة والاستغاثة ، منها ماهو عادى طبيعى كاستعانة الناس بعضهم ببعض فيما يقدرون عليه ، ومنه قوله تعالى : « فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه » ، فهذا داخل فى دائرة الأسباب والمسببات ، ومنها ما هو فوق قدرة البشر ، كشفاء المرضى فى الدنيا وإدخال الجنة فى الآخرة ، فهو خاص بمن هو على كل شيء قدير ؛ ومنه قوله تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين » ؛ فيجب التمييز بين الأمور الكسبية والأمور الغيبية . فالأولى يمكن طلبها بأسبابها ومن القادرين عليها ، والثانية عبادة ، وهي لا تكون إلا لله وحده ، فيُلجأ إليه فى طلبها ويُتوكل عليه فى تحصيلها . وليُنتبه لهذا الفرق فإنه عظيم

٦ — بيان أن عرب الجاهلية كانوا أربع فرق : فرقة كانت تدعو الجن ، والثانية الملائكة ، والثالثة تعبد الرسل والصالحين ، والرابعة وهى أحط الفرق الأربع كانت تعبد الأوثان التى نحتتها على مثال الصالحين . وهذا البيان ، من افتراق المشركين إلى أربع فرق قد بينتـه القرآن ، وكلّم كل فرقة بحسب ما تعتقد وردّ عليها ، وإليك الآيات التى تدل على ذلك :

الأولى : الفرقة التى كانت تدعو الجن « ويوم يحشرهم جميعاً ، ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ، فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضرا » ؛ وقال تعالى فى شأن هذه الفرقة أيضاً : «وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له (اخترعوا) بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون » ؛ وقال تعالى فى شأن دعاة الملائكة والرسل والصالحين وهما الفرقتان الثانية والثالثة : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، إن عذاب ربك كان محذوراً » ولا يمكن لعاقل أن يزعم أن الأصنام كانت ترجو رحمة أو تخشى عذاباً

وقال تعالى فى شأن الفرقة الرابعة وهم عبدة الأوثان الذين نحتوها على مثـال الصالحين : « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لـكم إن كنتم صادقين ، ألهم أرجل يمشون بها ... الآيات » وجميع هذه الفرق كانوا يعتقدون أن الخالق لـكل شيء هو الله تعالى ، وأن دعاءهم لمن يدعون ليقربوهم إلى الله زلفى ، كما حكى الله تعالى ذلك عنهم جميعاً بقوله : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » وقد تقـدم ذلك . ومن هنا يتبين خطأ من يظن أن الآيات نزلت فيمن كانوا يعبدون الأصنام وحدهم ، وقد علمت أن القرآن الكريم تـكلم مع كل الفرق

٧ – يراجع تفسير هذه الآيات الكريمة قبل إلقائها على الطلاب في كتب التفاسير المعتمدة، ليعلم سياقها وسباقها، والأسباب التي نزلت فيها وما فسرها به من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعون لهم باحسان كتفسيري إمام المفسرين ابن جرير، والحافظ المحدث بن كثير. ثم تفسر بأسلوب سهل خال من المصطلحات، فيكون الأستاذ قد جمع في تفسيرها بين القديم والحديث على أصح الوجوه وأحسنها.

أما الآيات الكونية فيرجع فيها أيضاً إلى ما فسرها به العلماء من محققي هذا العصر.

٨ – تشرح في دروس الفقه أركان الاسلام الخمسة التي وردت في حديث «بني الاسلام على خمس» ويبين معنى كلمة التوحيد التي هي ركن الدين وأساسه الأعظم، وأنها (أي لا إله إلا الله) مسقطة لجميع آلهتهم (أي العرب قبل الاسلام) هادمة لأنواع عباداتهم، ومثبتة لعبادة الله وحده الذي وحدوه بربوبيته (أي بأفعاله) ولم يوحدوه بألوهيته (أي بعباداتهم له كما تقدم) فمعنى (لا إله) هو نفي لكل معبود في الوجود وإبطال لعبادته، وكلمة (إلا الله) إثبات لعبادة المعبود بحق وحده وهو الله تعالى، ولو كان معناها (لا خالق إلا الله) أو ما هو في معنى ذلك من أفعال الربوبية كالرزق والاحياء والاماتة لما استكبروا عن النطق بها، لأن هذه الأفعال لم يدعوها لآلهتهم، وتقدم بيان هذا في توجيهات التوحيد، فيجب على الأساتذة أن يشرحوا هذه الحقيقة لأنها أصل الأصول وحقيقة الحقائق.

٩ – بيان المقاصد الدينية والحكم الاجتماعية للصلاة والزكاة والحج والصيام، وتبين أيضاً فوائد العبادات في معترك الحياة العملي والجهاد القومي. (فالصلاة) الروحية البدنية التي هي فرض عام على كل مكلف، تنهى عن الفحشاء، وأشد الفواحش والمنكرات فتكاً وهتكاً هي تلك الجيوش المنوية التي فتحت بلاد الشرق لها عقولها وجسومها وجيوبها كالخمر والميسر والزنا والربا والانتحار، فكثير ممن أضاع الصلاة واتبع الشهوات وقع في هذا التيار الذي أسلمه إلى الجنون أو المنون، فكان ذلك من أشد المصائب على الوطن.

(والصيام) الذي يدعو إلى إمساك المعدة عن الطعام، وسائر الأعضاء عن الآثام، وصرف جميع القوى والمواهب فيما خلقت له، يعلم الثبات على خلق (أي مبدأ) قويم لا محيد عنه. فالصائم الذي يغلب عقله شهوته ولا يخون دينه بالأكل نهاراً – سراً أو علانية – لا يمكن أن يخون وطنه أو يخدع في أمره فيبيعه بثمن بخس من غير أهله. (والزكاة) إعطاء نصيب معلوم من المال للفقراء والمساكين الذين أقعدهم العجز عن العمل، دون الكسالى المتسولين القادرين على الأكل من كسب أيديهم (وبقية الأصناف الثمانية في آية: إنما الصدقات للفقراء والمساكين ...) فاذا حفظت الزكوات والوصايا لمستحقيها ووزعتها عليهم جمعيات التعاون على البر والتقوى، ذوات الاختصاص بتمييز المستحقين من غيرهم، كانت هذه أفضل طريقة تجمع بها الأموال من المحسنين لإطعامهم وإيوائهم وتعليم أبنائهم. (والحج) أعظم مؤتمر إسلامي حر، وأكبر نقابة في الدنيا تبحث في شؤون المسلمين ومصالحهم، وتوازن بين ماضيهم وحاضرهم، وتدافع عن حقوقهم وحرياتهم، وتؤلف بين شعوبهم وقبائلهم. ثم هو فريضة الاسلام والركن الاجتماعي العام الذي تربط أفراد الأمة الاسلامية بعضهم ببعض، ويشد أواصر التآخي والتراحم بينهم، وينزع الضغن والحقد من بينهم فيصبحون بنعمة الله إخواناً.

١٠ – المعلمون ورثة الأنبياء في تعليمهم وأخلاقهم، ومن شأن أساتذة الدين أن يكونوا من أكمل البشر وأفضلهم في آدابهم وأعمالهم ومعاملاتهم، ويجب أن تتجلى فيهم مزايا العبادات المذكورة في هذه المقدمة وفوائدها، وأن يكونوا هم صورة كاملة لها، فهم القدوة الصالحة التي ينشدها الطلاب والمدارس، والمثل العليا تستملى من صفاتهم وأعمالهم، لا من الكتب التي بين أيديهم فحسب. والرجاء في أساتذة الدين أن يصحبوا طلابهم في المصلى والمسجد (لا في المقهى والملهى) ويكونوا أئمة لهم في بعض الصلوات، ومؤتمين بهم في البعض الآخر، ولا يرى الطلاب من عملهم مأخذاً لهم يتمسكون به (كعادة التدخين الضارة مثلاً) بل يجب أن يلاحظ رؤساء المعارف كافة والمعلمون منهم خاصة، وأساتذة الدين على الأخص، أنهم ليسوا أشخاصاً عاديين لأنهم يربون أرواحاً ويصلحون إصلاحاً، فبهم يقتدى، وبهديهم يهتدى، وليذكروا قول المصلح الأعظم صلى الله عليه وسلم «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.»

محمد بهجة البيطار
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
وأحد أعضاء لجنة (تنقيح المنهج)

من الأدب المنحول

في عيد ميلاد المسيح

للمرحوم مصطفى صادق الرافعي

« قلت في العدد الماضي إن صديقا من أصدقاء الرافعي طلب إليه مرة أن يعد كلمة عن المسيح لتلقيها فتاة مسيحية في حفلة مدرسة أجنبية في ليلة عيد الميلاد ...

« وكتب الرافعي كلة في تمجيد المسيح فدفعها إلى صديقه. وألقتها الفتاة في حفل حاشد من المسيحيين، فكانت عند أكثرهم إنجيلا من الأناجيل ... »

« فهذه هي الكلمة التي عنيت » سعيد العريان

أيها السادة:

ملك من ملائكة الرحمة، يهبط من سماء الله آتيا من حدود الأبد، ولجناحيه حفيف طالما أنست به نسمات الجنة، وتعلقت بأطرافه أرواح أزهارها الخالدة، كأنها معاني الورد في لفظ عطر الورد ...

صفّ جناحيه العظيمين ثم خفق بهما خفقة، فانزوت له سماء وسماء، وأسلمه فضاء إلى فضاء؛ فإذا هو في ذؤابة هذا الكوكب الأرضي؛ فوقف هُناك عند الحد الذي أقامه الله بين المعنى الخالد والمعنى الفاني، الحد الذي يبتدىء منه ضوء الشمس رقيقاً مستشمراً من رحمة الله، فيكون للمخلوقات الأرضية نوراً وحياة معاً، وهو في أصله لهب ماحق لو ألقيت فيه كرة الأرض لاستحالت في لحظة واحدة شعلة واحدة

هناك حيث تزدحم الأقدار، على مداري الليل والنهار، وقف الملك الكريم ولا تزال على قوادم جناحيه مسحة زاهية من نعيم الخلد، ولا يزال فيها روح من ريحان الجنة ... وقف ينظر فاذا الأرواح الانسانية صاعدة من الأرض في زحام، منهزمة من شرور الناس أيّ انهزام، متقهقرة إلى ربها بعد المعركة بلا نظام.

فصرف وجهه ناحية ثانية، فاذا دعوات المظلومين، وأنات المحزونين، وتأوهات المساكين، وزفرات الوالدات والوالدين فانفتل إلى ناحية غير الناحيتين، فاذا الحياة الأرضية كأنها خيط وضع من مقراض الفناء بين شقين، أو غريق يخبط في لجة بين ساحلين، ولا يدري قبره في أي الساحلين، أو المحكوم عليه بالموت أوقف بين سيفين، ولكن الموت واحد في السيفين.

فلم يبق من الجهات الأربع إلا جهة واحدة فتحول إليها الملك، فاذا هناك في أقصى الأفق معنى الرحمة الانسانية وقد انكمش وتضاءل وأخذ منه الهزال كأنه مريض، أو كأن الحزن على الناس قد أذابه فقطع الرجاء منهم وانزوى في ناحية ينتظر نهاية هذا القدر المنصب من السماء على الأرض.

جزع الملك من ذلك وكاد، وهو قطعة من الخلد، يداخله الخوف ويخالجه الشك وتمسه بعض آثار الحياة الفانية، فقال ما بالي قد تبللت أجنحتي من رشاش هذه الدموع وهذه الدماء، وما بال هذا العالم الآخر ليس فيه إلا متألم لميت أو متألم لحي أو متألم لنفسه، وما بال الحياة قد أمست من شدة بؤسها وكدرها وهمومها تطحن أكثر مما يطحن الموت؟ هل بقي شيء إلا النفخة في الصور، وبعثرة من في القبور، ووقوف الفلك الدوّار فلا يدور، وانطفاء نور الأرض فلا ظلام ولا نور؟

وقف الملك الكريم أربع سنوات وأشهرا [1] وهو ينتظر يوما يرى فيه السماء مسفرة الوجه برضا الله ونعمته، بعد غضبه ونقمته، فلما سطع ذلك اليوم المضيء وأبرقت بفجره أسارير السماء هز الملك جناحيه على المشرق والمغرب وانتفض في جو الأرض انتفاضة ملائكية أطفأ بردها غيظ القلوب المتأجج الذي تشاءمت به أفواه المدافع زمنا طويلا، وهب نسيمها الآتي من الجنة فدفع إلى ناحية الجحيم كل روائح البارود ودخان القنابل ولهب النار

ثم ضحك الملك مسروراً فانتثر من ضحكه الابتسام على كل الشفاه، وأصبح جو الأرض من مطلع الشمس إلى مغربها وهو يتلألأ كأنه ثغر طفل يضحك في وجه أمه.

وسمع الملك حمد الناس وشكرهم وتهنئة بعضهم بعضا، ورأى الأرض وقد سكنت بعد غليانها وأقبل أهلها يصلحون ما فسد، ويبنون ما تهدم، ويديرون في الأرض حركة جديدة ويسخرون العناصر لبناء الطبيعة الاجتماعية أو لهدمها كما كانوا يفعلون

(١) يشير إلى سني الحرب، وأحسبه أعد هذه الخطبة في عيد الميلاد من سنة ١٩١٨ « العريان »

نظرة خاطفة

تطورات الأدب الحديث

للاستاذ فؤاد الطوخى

لو بعث أعرابى فى الجاهلية وقرأ ما تفيض به أقلام الكتاب فى هذا العصر لأعجزه فهم المعانى والمرامى ، بل لأعجزه فهم التراكيب والأساليب، ولخرج من مطالعته وكأنه لم يقرأ ولم يفقه شيئاً . ذلك لأننا نكتب بلغة الغرب وندرك الأشياء بعقول هى أقرب ماتكون إلى عقول الغربيين، ونستمد منهم العلم ونستوحيه، ونرتوى من مناهلهم ونغترف ، ولا يزال العالم العربى كله يترسم خطاهم ويلف لفهم ، وبعاونه على ذلك مرونة اللغة ، فهى تتسع لمختلف الأساليب وشتى التراكيب ، ولا تنقصها الابانة عن معانى الغرب كما أبانت عن معانى الشرق .

وهذا التطور الناشىء من طغيان أدب الغرب على اللغة قد تمت موازينه على التطورات الطبيعية التى تصيب اللغات من توالى الأجيال وما يلابسها من اختلافات فى عالم الفكر وأساليب الحكم وصعود في المشاعر الانسانية وهبوط . وما الأدب الرفيع إلا دعامة من مقومات الأمة، ومظهر من مظاهر حياتها ونزعاتها؛ بل ترجمان نهضتها يكشف عن أسرارها ويظهر ما كمن فى نفسيتها وما استتر . فلما تهيأت أسبابه إبان النهضة المصرية الحديثة فى عهد الخديو اسماعيل لم يكن بين المصريين من يعرف الصحافة أو يستسيغها ، فنشطت جماعة من أدباء سوريا وممن كان الاستبداد التركى قد أرغمهم على الهجرة إلى أرض الفراعنة — إلى غرس بذور الأدب ، فرحب بهم اسماعيل باشا وشجعهم على إصدار الصحف والمجلات وإنشاء فرق التمثيل وقرض الشعر وتأليف الكتب الأدبية . واتصلت مصر بسوريا اتصالاً أدبياً وثيقاً ، ولسنا نقول إنهم أجادوا فيما أخرجوه للناس بادىء ذى بدء ، ولكن معظم تلك الأقلام على اختلاف ألوانها لا يروقك منها اليوم إلا النذر اليسير . ولم ينزل المصريون إلى هذا الميدان إلا بعد فترة من الزمان . وكان الأزهر الشريف يومئذ يغط فى الجمود غطيطاً حتى جاءه جمال الدين فأحيا مواته ونفخ فيه من روحه ، وغادر مصر بعد قليل وقد أسلم راية النهضة إلى الأستاذ الامام العظيم الشيخ محمد عبده ، فعمل مع من التف حوله من تلاميذه الأخيار على إعلاء كلمة الأدب ، وأرسل من صحن الأزهر الشريف شعاعاً من النور لم يلبث أن بسط رواقه على بعض الأرجاء. ومنيت هذه النهضة بصدمات عنيفة يوم أرغم نصيرها ومحييها الخديو اسماعيل على اعتزال الحكم، وعاد الجمود ولكن لايمكث طويلا، وإنما يمكث إلى أن تدور دورة الأيام وتهدأ الأعصاب ويستجم الأدب قوته ويستعيد سيرته، إذهيهات أن يحول حائل دون نمو شجرة أحكم زرعها وقوى أصلها. وما هى إلا عاصفة أثارها العرابيون حتى نفض الأدب عنه غبار الهدأة وخرج يتلمس مكانه تحت الشمس ، وكان الشيخ محمد عبده فارس هذا الميدان أيضاً فجال بقلمه وصال، بل كان رئيس الوزارة نفسه البارودى شاعرا وكاتبا ، وملأ عبد الله نديم الميادين والطرقات بخطبه وقصائده وأزجاله ، وعالج آل المويلحى فنونا من الأدب لا تزال بلاغتها تهز القلوب وتثير الشجون . وجاء الاحتلال فجاء معه الجمود للمرة الثالثة ، ولكن لا ليستقر أيضاً وإنما ليهدأ قليلا ريثما يعود الأدب من جديد ملكا ذا سطوة وبأس منادياً بالحرية مصورا شعور الأمة بمقت الحكم الأجنبى . وفى ذلك الحين بدأ نجم شوقى يعلو ويلمع ، وتلاه حافظ ، وتربع على دست الصحافة الشيخ على يوسف فى دار « المؤيد » ثم تلاه الاستاذ الامام أحمد لطفى السيد فى دار « الجريدة » وكانت لاتزال الصحافة السورية راجحة الكفة قوية الشكيمة . وأناخت على الأدب الحرب العظمى بكلكلها ولكن ما جاءت سنة ١٩١٩ حتى وصل الأدب ما انقطع ، ولا حق ما سابق ، وهب أقوى

فقال : الآن أصلحت بين الناس وأصلحت الناس للناس ، ثم رمى بطرفه إلى الجهات الأربع فاذا معنى الرحمة قد ملأها واستفاض عليها ، فهز جناحيه صاعدا فى فلك النور ، وفى أذنيه تهليل الناس وصلواتهم ، حتى إذا انتهى إلى أفقه الأعلى كانت الكلمة الأخيرة التى دخلت معه إلى سماء الله هي نفس الكلمة الأولى التى خرجت من سماء الله

« وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة »

سلطانا وأكبر نفوذا . فازدادت المجلات والجرائد المصرية دون السورية زهورا وانتشارا ، واتسع مجال التأليف ، وتعددت نواحي التفكير .

وأبرز ما يبدو في الأدب العربي الحديث هو الحيرة وعدم الاستقرار والخلو من الوحدة والتجانس والتماثل ؛ فهو لم يعد بعد طور التكوين ولم تقم له شخصية جلية فهو في ذلك إنما يتمشى مع روح الأمة ومشاغلها وأمانيها ، ففي مصر مثلا كان أكبر ما يشغل الأذهان ويتغلغل في النفوس هو السعي في سبيل الحرية، فانطبع الأدب بهذا الطابع وظهر أثره في الصحف والمجلات والخطب والتقارير وما إلى ذلك ، فتغنى الشعراء بأناشيد وطنية تمس نواحي الأمل تارة، ونواحي الألم تارة أخرى ، وكلما تطورت المواقف تطور معها الأدب وجرت بها أقلام الكتاب من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

ومن العجب العجاب أن الأدب الرفيع قد لاقى من صنوف التنكيل والمقاومة من جبروت الحكومات المستبدة، ومن استهتار الجمهور به ومن إغضاء أغنيائنا عن تعضيده ما لو حدث في غير مصر لتحطمت الأقلام ونضبت الأفهام ، وساد الظلام ، ولكن كتابنا استبسلوا واحتملوا الفواجع في سبيل الاعراب عن آرائهم الحرة، فنالوا تقدير العارفين وخلدوا في تاريخ مصر المجاهدة صحائف من نور . على أنه لن يمر زمن طويل، ما لم تتأثر مصر بمؤثرات دولية ليست في الحسبان، حتى تهب من أقصاها إلى أقصاها إلى الأخذ بأسباب الاصلاح ويتبع ذلك تطور وتجديد في عالم الفكر وعالم القلم ، وتدور رحى المعارك الصحفية على الأعمال لا على الأشخاص، وعندئذ تبرز الشخصية المعنوية للأمة وتبرز معها شخصية الكتابة والكتاب فتستقر في قرار مكين وتصبح في مأمن من زعازع السياسة ومنازع الأغراض فلا يعصف بها استبداد ، ولا يلويها عن قصدها حب في سيطرة أو استعباد

على أنه رغم تلك الاضطرابات العامة والقلاقل الجمة ، فان مصر بحمد الله قد ظفرت بطائفة من الكتاب لا تقل علماً وأدباً وقوة ومغامرة عن أمثالهم في أعظم الأمم المتحضرة المجاهدة ، وما ذلك إلا لما هم عليه من ذكاء نادر وعلم وافر ومضاء في العزيمة وقوة في الشكيمة . وإذا حق لمصر أن تفخر بأبناء الجيل الحاضر فمن الانصاف أن تضع في مقدمتهم الأساتذة الكرام « العقاد ، والزيات ، وهيكل ، وطه حسين ، والمازني ، وزكي مبارك ، وسلامة موسى » وغيرهم .

والظاهر أن الحكومة قد فطنت إلى ضرورة تشجيع الأدب فقررت منذ عام وبعض عام منحهم جوائز على موضوعات يتبارون فيها ، فكانت فكرة موفقة ، ولا نعلم لماذا لم تستمر في ذلك ! ولعلها تذكر أن من أكبر الأسباب التي دعت إلى ظهور طائفة كبيرة من الأدباء والشعراء الخالدين في العالم العربي ، الصلات القيمة والمنح الكريمة التي وهبها إياهم الخلفاء تقديراً لنبوغهم وتشجيعاً لغيرهم . ولسنا بملتمسين غير العدالة — إن لم يكن الحق — إذا نحن وجهنا نظر حكومتنا إلى ضرورة منح المجلات الراقية في مصر إعانات كفيلة بتوطيد دعائمها حثاً لها على الاستزادة من خدمة قرائها تعميماً للثقافة وتعضيداً للعلم، ولها في ذلك أسوة بالمدارس الحرة ودور المسارح والملاهي

فؤاد الطوخي

بين الفن والنقد

للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

تدرج الطبيعة بالانسانية فى مدارج الرقى والكمال ، وتنهج بها مناهج السمو والتطور ، فتحرص على النافع وتختار الأصلح ، وتجدّد دائماً ! فتنقل الناس من حال إلى حال ، وتخرج بهم من وضع إلى وضع ، وما أداتها فى هـذا إلا الشخصيات العظيمة ، والنفوس الكبيرة ، والارادات القوية الوثابة ، التى تحمل فى أطوائها عظمة الطبيعة نفسها ، فاذا هى فى أعمالها وحياتها ومواهبها برامج سامية للجنس ، وشرائع عالية للنوع ، وعوامل ناهضة بدهماء الناس من ظلمة الخمول ، وحمأة الانحطاط ، ومُثل رفيعة تثير بروعتها فى النفوس أعمق الخواطر ، وتلهمها الانشاء والخلق والابداع !

وما الأدب فى وضعه الشامل ، ومادته المتصلة بكل شئ إلا دنيا حافلة ، وإنسانية كاملة ، فهو — كما يقول مكسيم غوركى — مرآة الحياة تنعكس على زجاجته المصقولة ، فى هدأة الحزن أو ثورة الغضب ، سائر مشاكل الحياة وشعابها المترامية ، وخيوطها المشتبكة ، ومناحيها المتنائية ، كما تنعكس كذلك على أديمه الشفاف كافة رغباتنا وشهواتنا ومشاعرنا وآمالنا ، والجداول العميقة الراكدة لحماقتنا وطيشنا ، وسعادتنا وشقائنا ، وشجاعتنا وفرقنا ، أمام الغد المجهول ، والمصير المحتوم ، ومعانى الحب والبغض لدينا ، وسائر معايب نفاقنا وعار أكاذيبنا ، ومهانة خداعنا ، وركود أذهاننا ، وآلامنا التى لا ننتهى منها ولا تنتهى منا ، وجملة آمالنا الخفاقة الملهبة لشعورنا ، المتنزية فى خواطرنا ... وبالاختصار هو كل ما يحيا به العالم وسائر ما يعتمل وينبض فى قلوب البشر ...

فدنيا الأدب هى دنيا الناس تامة كاملة ، يصورها لنا الأسلوب المهذب ، ويرسمها التعبير الفنى الجميل ، وإن النهج الذى تسلكه الطبيعة فى دنيا الناس للسموّ بالانسانية ، والترقى بالعالم ، هو هو بعينه النهج الذى يحتذيه النقد فى دنيا الأدب لخدمته وصقله وتهذيبه واختيار الأصلح منه ... كما تفعل الطبيعة تماماً فى دنيا الناس المادية المحسوسة ، وما النقد إلا رسالة من رسالات الطبيعة وعمل من أعمالها ، فمن المعقول أن يحتذيها فى مهمته ، وأن يكون على غرارها فى وضعه ، فهو — على مايجب أن يكون — إرادة قوية تكشف وتوضح ، وتختار وتميّز ، وتنفى وتثبت ، وتزجر وترشد ، قد تبتر الضعيف ، وقد تحابى القوى ، وما قصدها فى ذلك إلى البطش والانتقام ، ولا إلى المداهنة والمحاباة ، ولكنها تقصد إلى صقل الخواطر ، وتهذيب المشاعر ، وتطهير الأفكار من مظاهر البساطة الأولى التى تكون الماس إذ يخرج من أحافير الأرض ، فما تزال تتعهدها بذلك حتى تقيمها على الوجه الصحيح النافع ، فاذا هى سمو بالانسانية ، وصلة بالحياة ، ومادة للخلود ، ومبعث الروعة والجلال على مدى الدهر وطول الأيام ...

والأدب والنقد يهدفان إلى غاية واحدة ، ويتعاونان فى مهمة متفقة ، فالأدب — كما يقول الرافعى — يقدّر لهذا العالم قيمته الانسانية بإضافة الصور الفكرية الجميلة إليه ، ومحاولة إظهار النظام المجهول فى متناقضات النفس البشرية ، والارتفاع بهذه النفس عن الواقع المنحط المجتمع من غشاوة الفطرة ، وصولة الغريزة ، وغرارة الطبع الحيوانى ؛ والنقد من وراء الأدب فى هذا كله ، يصحح له هذا « التقدير » من جميع جهاته ، ويسدده على طريقه القويم ، ويدله على الصور الرائعة التى يصح أن تكون مثلاً أعلى لما نطلبه من جمال الحياة وجمال العواطف ، ومن ثم كان النقد — كما يقول شوقى — حارس الأدب ، ومكمل الكتاب والكتب ، ومن ثم أيضاً كان النقد أساساً لكل نهوض أدبى مثمر ، فاذا ما رأيت أدباً مهذباً يغمر أصحابه بالحياة ، ويؤدى لهم غـذاء العواطف والعقول ، ويملأ نفوسهم باليقظة والحكمة والاحساس ، ويرفعهم عالياً إلى الكمال الانسانى ، ثم رحت تتلمس السبب فى ذلك فلن تجده إلا النقد ، ثم النقد ، ولا شىء غير النقد ...

قال لى أديب كنت أبسط له هـذا الرأى : ولكنك تعلم ياصاحبى أن أهل الفن قوم خلقهم الله أحرار المواهب ، فهم يطلبون حرية الفكر ، وذلك عندهم كل شىء ، ولعلك تذكر فى ذلك قول ملتون الخالد « أعطنى حرية القول ، وحرية الفكر ، وحرية الضمير ، ولا تعطنى شيئاً غير ذلك » والنقد إنما هو ضرب من ضروب الحجر على هذه الحرية وحبسها عن التحليق فى سماء الفن وجو الحياة الفسيح ، ولاشك أن الفنان إذا ما فقد حريته

فقد فقد عبقريته ، وتلاشت شخصيته ... ثم أنت تعلم أن حياة الفن إعجاب وتقدير ، وأن الفنان فى حاجة كبيرة إلى العطف والثناء والمدد والبخور ، ولكن النقد كثيراً ما يرهق أعصاب الفنانين — وهى الدقيقة المرهفة — بصلف الأستاذية ، وعنت الحزازة وعبث التطفل ، وكثيراً ما هوى فنانون صرعى هذا الطغيان أو قل هذا اللؤم ، وكثيراً ما أحجم كرام فضلاء عن الظهور فى الميدان ضناً بأعراضهم أن ترتع فيها الألسنة المضراة ، وصوناً لآثارهم أن تبتلى بلئيم لا ينصف ، أو جاهل يتعسف . وقديماً قيل : أحق الناس بالرحمة عالم يجرى عليه حكم جاهل ! وهذا ما يجعلنى أعتقد أن النقد عداوة للأدب ، وتهجم على كرامة الفن ، وأنه طاغية مستبد ، يهدم ويثبط ، ويندفع فى جبروته واستبداده لا يلوى على شىء ولا يحفل بشىء ولا يفيد فى شىء . . . وهذا ما جعلنى أيضاً أرتاح لصنيع ألمانيا يوم حرمت النقد الأدبى ، ووقفت به عند عرض الموضوعات وبسطها دون التعليق عليها أو إبداء أى رأى . ولقد كان وزير الدعاية الألمانية على حق إذ يقول فى بيانه الذى أصدره فى ذلك الصدد : إن الفن لا يفقد شيئاً إذا ما بعد أولئك النقدة الأغرار من الميدان ، إذ العظمة الزائفة تسقط من غير أن يسقطها النقد ، أما أصحاب العظمة الحقيقية فيجب أن يسمح لهم بحرية الابتكار ، والاحتفاظ بكرامتهم الفنية ، ويجب أن تُصان العبقرية الصحيحة من كل ما يؤذيها ويمهد لسقوطها !

ولقد يبدو هذا الكلام طريفاً لبعض الناس ، وأذكر أنى سمعت صداه فى ندوة أدبية ، وقرأت كلاماً بمعناه فى إحدى الصحف ، ولكنه فى الواقع أفن من الرأى لا يصح فى عقل ، ولا يستقيم فى منطق ، فان النقد ليس مصادمة لحرية الفنان فى شىء ولكنه نهوض بهذه الحرية إلى الأوج ، وارتفاع بها عن العبث ، وتقويم لها على المبادىء القويمة ، والرغبات النافعة ، وإذا كان له أن يقف بالفنان عند حدود ، أو يلزمه بقيود ، فليست هى إلا الحدود الفنية ، والقيود التى هى معالم الفن نفسه ودعائم كيانه ، وبالتزامها يسمو وينهض ، وبمراعاتها ينمو ويفرع . فاذا ما أباح لنفسه أن يتعداها وأن يستهين بها ، هان أمره ، وهاض شأنه وذهبت شخصيته ، وانتهت رسالته ، كتلك القيود التى يتملص منها بعض الناس ، من تفريط فى حق اللغة ، وعدم العناية بالأسلوب ، والاستهانة بأوضاع العرف والأخلاق ، والتقاليد والدين !

ثم لماذا يناهض النقد الأدب ؟ والنقد والأدب صنوان يجمعهما الفن إلى أصل واحد ، ويربطها برباط العصبية والقرابة ، أو على الأقل برباط الود والصداقة ، فاذا ما نظر النقد إلى الأدب وهو ينصح له ، أو يسخر منه ، أو ينكر عليه ، أو يعجب به ، فما هو فى هذا كله إلا الصديق الحدب ، والرفيق المخلص ، من واجبه أن يصور الأدب أمام نفسه بأغلاطه ومساوئه ، وصوابه ومحاسنه ، وأن يرى فى ذلك الرأى الصريح المخلص ، كما يفعل الأدب تماماً إذ يصور الحياة أمام نفسها بأغلاطها ومساوئها ، وصوابها ومحاسنها ، وأن يحكم فى ذلك برأيه وتقديره ، ولا عيب على النقد فى صنيعه هذا ، كما لا عيب على القاضى إذا ما أعلن كلمة الحق ، والواصف إذا ما قرر حقيقة الموصوف ، والصديق إذا ما صارح صديقه بالذى فيه ، ولكن العيب ألا يؤدى ذلك جهده ، ويهمل له وسعه ؛ وإن من خطل الرأى أن نحسب النقد عداوة للأدب ، وتهجماً على كرامة الفن ، وأنه طاغية مستبد لا يحفل بشىء ولا يفيد فى شىء ... فأن الطبيعة ليست بقاسية من ذهابها بالزبد ليبقى ما ينفع الناس ، والطبيب ليس بمتجبر ولا بمستبد إذا ما بتر العضو الفاسد لينجو المريض . والصائغ لا يقصد الشر إذا ما تناول حجر الماس بالاحراق والصهر والصقل ليخلص جوهره وتنجلى لمته ، وكذلك قل فى النقد إذا ما وضع الحق فى نصابه ، ودافع عن الفن فى نسقه الأعلى ، وعمل على تخليصه من شوائب الفضول والدعوى المزورة والمآرب المتهمة ، وإن من انقلاب الأوضاع والاستهانة بالحقائق أن نحسب التهذيب عداوة ، والصراحة تهجماً ، والتطهير هدماً وتثبيطاً ، وإذا كان بعض الأدباء لا يفيدون من النقد صقلاً وسمواً وتهذيباً وإرشاداً فليس الذنب ذنب النقد ، ولكنه التفريط منهم فى الانتفاع بالرشد والاصاخة إلى النصيحة ، وما هم إلا كالمريض ، يصف الطبيب له الدواء ، ويقدر عليه الغذاء ، ويقرر له ما يأتى وما يدع ، ولكنه يستهين بهذا كله ، وما يزال حتى ينوء بعلته ، ويتلف بدائه ، ثم يتبجح فيلحى الطبيب ! !

على أننا إذ نقول النقد ، فأنما نعنى ذلك الفن الجليل بقواعده المقررة ، وأصوله المحررة ، وغايته الشريفة ، وهو شىء أسمى من التقييم والتقريظ والاستجداء ، وأنبل من العبث والغرور والتفيهق ،

إلى أن يقول :

وأبو الفضل إن ذكرهم الحلـ ... و بيٌّ الشفاء للأسقام
صدق الناس في حنين بضرب ... شاب منه مفارق القمقام

وأبو الفضل هو العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد كانت الشيعة إلى عهد الكميت يداً واحدة إلى أن تفرقوا في عهد العباسيين إلى علويين وعباسيين ، فعادى بعضهم بعضاً بعد أن آل الملك إليهم ، واستأثر به بنو العباس كما استأثر به بنو مروان قبلهم. وقد أخذ بعد هذا كله في الحديث عن نفسه في هذا الأمر الذي أخذها به ، واستسهل صنوف البلاء في سبيله ، فقال :

فيهم كنت للبعيدين عماً ... واتهمت القريب أي اتهام
وتناولت من تناول بالغيـ ... بة أعراضهم وقل اكتتامي

إلى أن يقول :

ولهت نفسي الطروب إليهم ... ولهاً حال دون طعم الطعام
ليت شعري هل ثم هل آتينهم ... أم يحولن دون ذاك حمامي

وقد أراد أن ينتقل من ذلك إلى ذكر ناقته ووصفها على عادة الشعراء قبله ، ولكنه يجعل ذلك في ختام قصيدته ولا يبدأ به في أولها كما كانوا يبدؤون به ، فلا يؤثره بهذا على مقصوده الذي ملك عليه مشاعره ، وفي هذا يقول :

إن تشيع بي المذكرة الوجنا ... ء تنـفي لغامها بلغام
عنتريس شملة ذات لوث ... هوجل ميلع كتوم البغام

إلى أن يقول في الختام :

ما أبالي إذا تحن إليهم ... نقب الخف واعتراق السنام
يقض زور هناك حق مزور ... ن ويحبى السلام أهل السلام

وكذلك يسلك الكميت ما يقرب من هذا المسلك في بائيته الأولى ، فقد تخلص من مطلعها إلى ذكر حال نفسه وما يلاقيه في سبيل رأيه فقال :

بني هاشم رهط النبي فإنني ... بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
خفضت لهم مني جناحي مودة ... إلى كنف عطفاه أهل ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا ... مجنا على أني أذم وأقصب

إلى أن قال :

يعيبونني من خبهم وضلالهم ... على حبكم بل يسخرون وأعجب
وقالوا ترابي هـواه ورأيه ... بذلك أدعى فيهم وألقب
على ذاك إجرياي وهي ضريبتي ... ولو جمعوا طراً علي وأجلبوا
وأحمل أحقاد الأقارب فيكم ... وينصب لي في الأبعدين فأنصب

ثم أخذ في ذلك الحجاج الذي جمع فيه بين الشعر والعلم ، ولعله هذا كان أول عهد العرب بذلك الأسلوب في الشعر :

بخاتمكم غصباً تجوز أمورهم ... فلم أر غصباً مثله يتغصب
وجدنا لكم في آل حاميم آية ... تأولها منا تقي ومعرب
وفي غيرها آياً وآياً تتابعت ... لكم نصب فيها لذي الشك منصب
بحقكم أمست قريش تقودنا ... وبالفذ منها والرديفين نركب
وقالوا ورثناها أبانا وأمنا ... وما ورثتهم ذاك أم ولا أب
ولكن مواريث ابن آمنة الذي ... به دان شرق لكم ومغرب
يقولون لم يورث ولولا تراثه ... لقد شركت فيه بكيل وأرحب
ولا كانت الأنصار فيها أدلة ... ولا غيباً عنها إذا الناس غيبوا
فإن هي لم تصلح لقوم سواهم ... فإن ذوي القربى أحق وأقرب

إلى أن قال :

فيالك أمراً قد أشتت أموره ... ودنيا أرى أسبابها تتقضب
يروضون دين الحق صعباً محرماً ... بأفواههم والرائض الدين أصعب
وقد درسوا القرآن وافتلجوا به ... فكلهم راض به متحزب
فمن أين أو أنى وكيف ضلالهم ... هدى والهوى شتى بهم متشعب

ثم أخذ في مدح بني هاشم فقال :

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ... ويا حاطباً في غير حبلك تحطب
ألم ترني من حب آل محمد ... أروح وأغدو خائفاً أترقب
أناس بهم عزت قريش فأصبحوا ... وفيهم خباء المكرمات المطنب
خضمون أشراف لهاميم سادة ... مطاعيم أيسار إذا الناس أجدبوا

إلى أن قال :

وقد غادروا فينا مصابيح أنجما ... لنا ثقة أيان نخشى ونرهب
أولئك إن شطت بهم غربة النوى ... أماني نفسي والهوى حيث يسقب

ثم ختم ذلك كله بوصف ناقته كما فعل في ميميته فقال :

فهل تبلغنيهم على بعد دارهم ... نعم ببلاغ الله وجناء ذعلب
مذكرة لا يحمل السوط ربها ... ولأياً من الاشفاق ما يتعصب

إلى أن قال :

كأن حصى المعزاء بين فروجها ... نوى الرضخ يلقى المصعد المتصوب
إذا ما قضت من أهل يثرب موعداً ... فمكة من أوطانها والمحصب

عبد المتعال الصعيدي

إلى شباب القصصين

كيف احترفت القصة

قصة المستر فرانك سونبرتن

للأستاذ أحمد فتحى

إن ثلاثين عاماً قد تصرمت بعد إخراج قصتى الأولى سنة ١٩٠٩ . ولذلك فإنى أعتذر من عدم تذكرى سوى القليل من محتوياتها

كنت فى ذلك الحين أعمل فى بعض مكاتب النشر ، أراجع « البروفات » ، وأحرر بعض الرسائل إلى المؤلفين ورجال الطباعة لقاء خمسة وثلاثين شلناً فى الأسبوع

وكان من عادتى أن أتناول وجبات طعامى فى بعض مشارب الشاى ، أو فى مطعم رخيص فى « سانت مارتن لين » يقال له مطعم « سانت جورج » . وبعد أن أفرغ من عشائى تتشعب بى المسالك ، فاما أن أذهب إلى ملهى للتمثيل ! أو أمضى إلى حيث أسمع محاضرة واحد من الأعلام ، وأتوجه إلى بيتى لأكتب بعض الخواطر على منضدة تخيط عليها أمى الثياب ، ويرسم عليها أخى بعض الصور لبعض المجلات التى تصدر من أجل الناشئة !

ولم تكن آمالي معلقة باحتراف القلم بل كان من ودى لو أغدو صحافياً لا قصصياً . غير أنى كتبت قصة طويلة كاملة وأنا فى الثامنة عشرة ، ثم أحرقتها ! وأتبعتها بأخرى وأنا ابن عشرين ولكنها كانت قصيرة جداً ، وكان اسمها « الطريق الحق » عرضتها على ستة من رجال النشر قبل إحراقها . غير أن واحداً من هؤلاء الناشرين جميعاً لم يرفضها بطريقة تبعث على اليأس ، بل أعادوها إلىّ مصحوبة بكلمات التشجيع ، وبعد تجربة أخرى ، كتبت قصتى الأولى الناجحة « القلب السعيد » !

وكانت قصة « القلب السعيد » على ما أذكر تنتظم طائفة من الشخصيات ، منها البطل ، وهو شاب مرح موفق فى مثل سنى وشقيقته ، وصديق له ، وحبيبته ، وأمه ، وأبوه الذى كان يغشى حقيقة حاله غموض كثير . . . كما كان من الشخصيات الملحوظة كذلك فتاة خادم فى مشرب ، ورجل آخر غير موفق إلى خير

لم تكن لى شقيقة ، ولا أب ، ولم أكن أعرف — فى ذلك الحين — مثل تلك الفتاة الخادم فى مشرب الشاي ، ولا مثل ذلك الرجل الذى يخطئه التوفيق على الدوام ، وأما الأم فقد كانت تختلف تماماً عن أمى ، التى كانت أقل النساء إيثاراً لنفسها ، وأدناهن حظوة بالسعادة ! وهكذا لم يكن فى القصة من شيء قد استوحيته الحقيقة الماثلة سوى البطل الشاب المرح الموفق . وكذلك لا تعدم الحياة وجود أمثاله على الدوام !

كان هذا الشاب أجنبياً عن البلاد ، يشتغل فى وكالة لبعض الأعمال الخارجية ، وقد عرفته من طريق أخى الذى كان صديقاً له ، وكان يعول أخته ، ويجهد أن يعين حبيبته على أمور حياتها . وقد حدث أن خرج وإياها فى نزهة ، وانتهى بهما المطاف إلى مشرب للشاى ، حيث اتفق أن رأته يقبل الفتاة خادم المشرب . ولقد جرّت علىّ هذه الأزمة الأخيرة — فى القصة — تعنيف صديقة كانت على وشك الزواج ، إذ ساءها أن بطل قصتى لم يكن على شيء من متانة الخلق ولا الثبات على حب واحد !

ولست أدرى ماذا حدث لقصتى بعد ذلك من حيث تسجيل الحوادث ولا أظنها كانت متأثرة بواحد من كتاب السلف ، عدا « لويزا آلكوت » التى كنت قد قرأت له أقاصيص متتابعة منذ عام ١٨٩٤

وحين ألتفت إلى الوراء ثلاثين عاماً ، يبدو لى أن مؤلف « القلب السعيد » رجل آخر لا يحمل اسمى ولا يمت إلى بسبب . وإن صورته الشمسية لتنطق بأنه كان ذا رأس مستطيل ، غزير الشعر ، وأنه كان بارز عظمتى الوجنة ، قصير النظر برغم بريق عينيه ، كما أنه لم يكن من النوع الذى تسهل قراءة عواطفه وخلقه من صورته ومظهره الخارجى ، سوى ما كان يبدو عليه من إمارات الجد والوقار ؛ التى يتميز بها علماء الشباب ، ولكنه — إذا صدقت

ذاكرتي — لم يكن على شيء من الجد ولا الوقار ! كما أنه لم يكن من العلماء بحال !

***

كتبت « القلب السعيد » في الأمسية وأيام المطلات الأسبوعية ، خلال أربعة شهور أو خمسة ، وكما صنع «شيكسبير» في قصته « بن جونسون » لم أكن أعمد إلى تجفيف سطر واحد !

وكما أن فرصة النشر لم تكن حينذاك أكثر من وهم يتأرجح ويضطرب في ذهني ؛ كذلك كانت هذه الفترة من الزمن أهنأ أيام حياتي ... فقد كان من الفكاهة المستملحة أن أخترع أناساً لا أعرفهم ، وأروى عنهم قصة فضفاضة الفصول ، ثم أعمد إلى تسجيل الاختراع والحديث في سطور ! ولقد سمعت بعد ذلك أنني طالما ضحكت في كتاباتي ضحكا طليقاً ؛ ولكني كنت أضحك من غير أن أعني ... ومن المحقق على أي حال أن كتابتي على تلك الحال لم تكن منجاة لي من الجمود أو الاستخذاء ! لأن الكاتب كلما كان مرحاً ، وكلما كان له أصدقاؤه وملاهي حياته ، وكلما كان مستمتعاً بمحاسن أيامه إلى غير حد — كان غير ذي حاجة إلى إجهاد خياله لافتعال المفاجآت والحوادث . على أن تفكيري كان حاداً بالتأكيد ، ولكنه لم يكن علمياً منظماً . وكان تكوين جسدي متيناً . غير أن سلسلة من الأمراض الموهنة قد تركتني سقيم الجسد هزيلا ، غير قادر على مباشرة الألعاب الرياضية ، وكل حظي منها لم يكن — فيما سلف — أكثر من العبث بكرة صغيرة في شوارع « لندن » الخلفية ! غير أني كنت كثيراً ما أتروض بالسير على القدمين ، كما كنت أطلع في سعة ، وأفكر في إتقان ، وأغشى مدينة « لندن » وريفها بين رفقة يفوقونني خبرة بالحياة ، كما كنت قليل الحفل بالمستقبل !

***

أستطيع أن أقرر أني لم أتوخ في كتابة « القلب السعيد » نهجاً خاصاً أدين به في الحياة الواقعة نفسها . كانت تروق لي نظرية « الاشتراكية » بيد أني لم أكن أتحمس لها تحمساً فعلياً ولقد كنت في تلك الأيام ، حين كان رزقي خمسة وثلاثين شلناً في الأسبوع ، كما أنا اليوم ... بعد أن اتسع رزقي كثيراً ... شديد الايمان بأن كل إنسان إنما هو الذي يصنع دنياه الخاصة ! بغض النظر عن موارد رزقه . كما كنت ولم أزل شديد الايمان بأن السعادة إنما هي ذخيرة شخصية ، تصونها الطبيعة المرحة السامية أكثر مما تصونها الاعتبارات الاقتصادية ! وهذه الطبيعة المرحة هي التي جلوتها في شخص بطل « القلب السعيد » فلقد شرق في الأرض وغرب في غير كبير اهتمام وفي غير ما صراع أو جهاد ! ولكنه كان يتعقب الحب الذي يجده القارئ في آخر القصة ، ومثله الأعلى لم يكن يعدو الزواج السعيد ، وبيت الأسرة ، والأطفال ، في قناعة بالقليل ورضى بالواقع !

وحدث في عام ١٩٠٨ أن المستر « فيشر آنون » الناشر المعروف ، أعلن مسابقة قصصية عامة ، أرصد للفائز الأول فيها جائزة قدرها مائة كاملة من الجنيهات . وكان هذا القدر من المال خليقاً أن يسيل له لعاب مثلي ... ولذلك أنجزت كتابة قصتي « القلب السعيد » وتقدمت بها بين المتسابقين . وأعقبت ذلك نتيجة محتومة مرتقبة ، ولقد كان يرضيني أن أكون عاشر الفائزين إلا أنني لم أربح ... وكانت صدمة لي ، ولكنها لم تكن شديدة القسوة ، وبعد ذلك أتيح لي حظ نادر ...

كنت — كما قدمت — أعمل في ذلك الحين ببعض مكاتب النشر : أقرأ « البروفات » وأحرر بعض الرسائل ، وكان رئيسي في ذلك العمل رجل اسمه « فيليب لي وارنر » كان يعمل معي قبل ذلك في مكان آخر ، وكان قد قرأ لي من قبل قصتي القصيرة « الطريق الحق » . وقد اتفق أن سألني بعد فشلي في المسابقة ماذا أكتب ، فلما رويت له خبر المسابقة ودخولي بالقصة الأخيرة وفشلي ، طلب أن أطلعه على تلك القصة ، فأجبت رغبته . وبعد أن قرأها دفع بها إلى ثلاثة من أصدقائه الذين يعتد برأيهم . وإني أقرر هذا حتى لا يتوهم بعض البعيدين عن محيط النشر أن فيه سبيلا إلى التحايل . . . وبعد أن تلقى الرجل آراء أصدقائه هؤلاء طلب إلى إحداث بعض التحوير في القصة ، واعداً بنشرها بعد ذلك . ومن عجائب المصادفات أنه كاشفني بذلك في نفس اليوم الذي كنت أحتفي فيه عيد ميلادي الرابع والعشرين !

***

تحدث كل الأصدقاء بحسن حظى ، وكانوا جميعاً يشكون فى نجاح قصة أنا كاتبها . وقد جاء نجاحها مناقضاً عن كفايتى ! والحق أنه كان لى على الدوام أصدقاء يقفون فى صفى لمواجهة ما يكتنفنى من أخطار الغرور فى النفس ! ولم أكن أغضب لهذا أبداً . بل على العكس من ذلك ، كنت دائماً أعترف بما كانوا يغمروننى به من صفو المودة .

ولم يكن الكتاب « القصة » عملاً جيداً تماماً . فلقد كان مكتوباً فى سرعة فائقة وفى قلة اكتراث . وكان بذلك أبعد ما يكون من صفات العمل الأدبي الجدى ، وأبعد ما يكون من الجدارة بالكتابة عنه ، أو مديحه ، ولكنه على أى حال كانت تميزه ظاهرتان ينبغى أن يعنى بهما كل شاب يريد أن يكتب قصة ؛ فقد كانت فيه جدة أصيلة ملحوظة ، فضلا عن اندماج المؤلف فى الشخصيات التى خلق منها أبطال قصته !

وبعد ظهور الكتاب ، بهرنى ما استقبلته به الصحف التى تحفل بفن القصة ، والحق أنها كانت رفيقة به كريمة عليه . فقد امتدحته كأنما يتفرد كاتبه بعبقرية من طراز خاص ! وقارنته بأعمال « ديكنز » الخالد ! وأسرفت فى التنويه بما فيه من أصالة وطرافة . بل لقد بلغ من كرم محرر « المانشستر جارديان » أنه قال « ... لقد بدأ المستر فرانك سوينرتن — أنا — أعماله الأدبية بإحدى الروائع . فقد جعل أبطال قصته في ارتباط وثيق ، كما أفاض عليهم حيوية ملحوظة ؛ وكل ما فى كتابه يعتبر هدية ممتازة إلى الفن القصصى من الشخصيات ، والطبيعة ، والحوار . وليس بعد ذلك من شىء يجعل القصة جديرة بالنشر ، خليقة بالاقبال !

ونفدت سبعمائة نسخة من الكتاب فى موسمه الاول ولم يكن هذا أمراً مرضياً تماماً . ولكنه لم يكن فى تلك الأيام نتيجة سيئة . فقد بلغ نصيب الناشر من ثمن هذه النسخ ثلاثين جنيها . بينما أخرج « أرنولد بينت » كتابه الأول فلم يكسب أكثر من جنيه واحد بعد أجر من وقع فصوله على « الآلة الكاتبة » !

واستأنفت الكتابة بعد ذلك ، لأن الناشر تلقى تشجيعاً كافياً لأن يتفق معى على نشر قصة أخرى . وهذه أيضاً حقيقة لها حظ من الأهمية . فان القصة الأولى للكاتب إن لم تكن أكثر من محاولة غير ناجحة ، فان قصته الثانية خليقة أن تكون بداية طيبة لاحترافه هذا الفن !

وأنا الآن لا أكتب قصصى بالسهولة التى كنت أكتب بها منذ ثلاثين سنة . والواقع أن الانسان كلما تقدمت به السن تزايد شعوره بصعوبة التمشي مع كل الأساليب ! وشعوره بتضاؤل استقلاله وحقوقه كمؤلف . ولكن ، حينما كنت أكتب قصتى « موسم الفكاهة » ، وأنا ابن ثلاث وخمسين سنة كنت أحس بذلك النشاط الذى كان لى حين كنت أكتب « القلب السعيد » قبل ذلك بثلاثين عاماً كاملة .

وحين شرعت فى كتابة هذا المقال لم أكن قد تصفحت كتابى الأول منذ ظهوره ، ولكنى وجدتنى مضطراً إلى ذلك حين هممت بتدوين هذا الفصل ، لأكتشف ذلك الموضوع الذي دارت عليه فصول كتابى الأول الذى أشعر بأنى مدين له ، إذ مهد لى السبيل إلى فن من الحياة لقيت فيه ألواناً من السعادة .

فرانك سوينرتن

جنـــــون الأقوياء

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

ملكوا الأرض واستباحوا حِمَاها … واستطالوا بجنَّةِ الأقوياء[1]
وسعوا ينشرون فى الأرض سرا … مُنْكَرًا فى شريعة الأتقيـاء
تارة فى الخفاء بالمكر يَعْدُو … نَ وطوراً فى جهرة العظماء
أَهْوَنُ الوِزرِ مَا أَتَوْهُ جهاراً … من صيال وقسوة وبلاء
والذى فى الخفـاء أقتل للنفـ … ـس وأقسى لصوله فى الخفاء
إن رأوا نقص أَنْفُسٍ فى خصوم … اسـتزادوه بالأذى والدهاء
أفسدوا أمرهم ودسـوا دُعَاةً … كى يَهِيجُوا تشاحن الأشقياء[2]
واسـتمالوا سمع اللئيم بلؤم … زاده خِسَّـة على الأدنياء[3]
كصيال الشعوب بالمكر والكيـ … ـد وإنْ أحرزت صفاتِ العلاء
حَلَّلُوا للوشاة أن تشتفى من … لاعِجِ الحقد بالأذى والعـداء
خدعتهم أرصادهم أم رأوا أنْ … سماحا بشرهم كالجـزاء[4]
مَكَّنُوهُمْ ممـا أرادوا من الشـ … ـر جزاء نَحْوِتهم والرياء
ذاك أنَّ العـــدوَّ أرخصُ شأناً … مِنْ تحامِى الإجحاف فى الإيذاء[5]
قَرَّظُوا العلم والحضارة جهراً … وتقَاةً لله أو للقضــــاء[6]
ثم ساسوا بالختل فى السر ما شا … ءوا وشاعت جوامح الأهواء
لا رقيبٌ على الخفاء ولا الصو … لةِ فيه ولا عديمِ الحيــاء
عدموه للكفر بالله والنا … س سوى ما رجوا من الآلاء

(١) جنة أي جنون بكسر الجيم
(٢) هؤلاء الدعاة هم عمال السياسة الذين يعملون فى السر
(٣) أى يدرســون أماكن الضعف فى أخلاق الأمم ويحاربونهم ويستدرجونهم ويخدعونهم ويؤثرون فيهم بأساليب السياسة الخفية من طريق أوجه الضعف فى الأخلاق
(٤) الارصاد الجواسيس
(٥) تحامى الاحجاف التفادى من الظلم وتحامى متعدية وتفادى لازمة والمعنى أن العدو أهون من أن يمنعوا عمالهم السياسيين من إرضاء شهوات أحقادهم
(٦) تقاة تقوى بضم التاء

عَلَّمَ العِلْمُ صائلا إنمـا النـا … ـس كَنَمْلٍ سَوَاؤُهُمْ كَسَوَاء
زعموا زعمهم وسموه علمـــاً … واستطالوا بلؤم ذاك الذكاء
وأباحوا لِحِقْدِ كل وَلِيّ … مُثْلِجًا نار إحنـة الأحشاء[1]
ثم قالوا وسَـــطَّرُوا فى ضمير … إنه من ضرورة الأشياء
قِسْ على ما بدا من الشر جهراً … فى حروب ونزوة وعـداء
ما أجَنُّوهُ وهو أبلغ فى الكذ … ب وفى كل قسوة واعتداء[2]
وقديماً جُنَّ القَوِىُّ بمـا طا … ع له من تزلف الضعفاء[3]
وضعوه فى منزل الله كُفْرًا … فطغى واستباح سفك الدماء[4]
ورأى الخـير والفضيلة ما شا … ء وإنْ كان من أذى الأدنياء
ورأى الشر والكبائر ماعا … ف وإنْ كان سيرة الأبرياء
وكذا المرء وهو ليس وَلِيّ الـ … ـحُكْمِ يطغى بنصرة اللؤماء[5]
وسواءٌ شعب وفردٌ وذو السلـ … ـطان أو سادر من الدهماء[6]

صنعوا الشر حِسْبَةً ولوجه الـلـــه، شاهت وجوههم من رياء
أو لحقدٍ قد مَوَّهُوهُ بخـير … وتباهوا بحسن ذاك الطلاء
أو برأى الأحرار صـاغوا قيودًا … واستباحوا فى الناس سفك الدماء[7]

وجنون القَوِىِّ أقبح من قو … ة وحش يقوى بغير ذكاء
إيهِ لغز الحياة هل دورة للـ … ـشر والخير غير ذات انتهاء
لعبـة ما أراه أم خَبَلُ الأنـ … ـفس أم نزوة من الحمقاء
إِحَنٌ فى الحياة مثل خطوط … نسجوها فى البُرْدَةِ السِّيَرَاء[8]

(١) الولى المناصر المخلص الموالى أى أباحوا لعمالهم السياسيين أن يشتفوا بأعمالهم فى السر (٢) أجنوه أى أخفوه
(٣) مثل بعض الفراعنة أو امبراطرة الرومان مثل كاليجولا أو غيرهم وطاع ثلاثى لازم بمعنى دان له أما أطاعه فرباعى متعد
(٤) لأنهم كانوا يقدسونهم فى العبادة
(٥) أى أن جنون الطغيان والقوة ليس مقصوراً على الامبراطرة والفراعنة بل يشمل كل من يجد نصراء يستعز بهم حتى ممن صغرت مرتبته
(٦) ويستوى فى جنون القوة والطغيان الشعوب والأفراد، والسادر المستهتر الخليع والدهماء عامة الناس
(٧) برأى الأحرار أى باسم الديمقراطية أو الوطنية
(٨) السيراء المخططة بكسر السين وفتح الياء

فغدت نُهْزَةَ الفنون هو الفَنُّ   كَنَخْلٍ يشتارُ أرْىَ الشقاء(١)

هل لِسِحْرِ الفنون أنْ دَلَفَ الدهـ   ـر وساغ الأنامُ لُؤْمَ البقاء(٢)

سحرها يترك اليَبَابَ عمارًا   حافلا بالنعـــيم والآلاء(٣)

ويُحِيلُ الخسيسَ من معدن العيـ   ـش شريفاً بصنعة الـكيمياء(٤)

عبد الرحمن شكرى

فلسطــــين

للأستاذ عبد اللطيف النشار

أتلك فلسطينية الكرْم فاسقنى   سلافاً غذاها بطن واد مطهر

سقانى نجيب جرعة فتمثلت   مناظر من شتى عصور وأدهر

كأنى أماشى الناصرىَّ وصحبه   إلى هيكل نائى الجوانب نير

لحطم ما استعلى بها من زخارف   وهوَّن أمر التائه المتجبر

تضاءلت الأحبار فى ذرواته   أمام عزيز ليس بالمتكبر

وذلت أنوف شامخات إلى الذرى   وضاق الثرى منه بكنز مبعثر

فلسطين هذى لا يتيه بها الغنى   فبشر بذل كل خد مصعر

ومستضعف فيها قليل نصيره   يعود على الدنيا بنصر مؤزر

فلسطين هذى تنكر اليأس أرضها   وماهو فى أرض سواها بمنكر

رأيت بها الأموات تحيا فجاءة   أأرض فناء تلك أم أرض محشر

وعينين عمياوين دنياهما الدجا   تبلجتا مثل الصباح المنور

وأبرص تؤذى العين رؤية جسمه   فقرت به العينان من حسن منظر

وما كان عهد الله فيها لينقضى   ولا كان عهـد الله بالمتغير

عبد اللطيف النشار

(١) نهزة فرصة ويشتار يجمع العسل أو مادته والأرى العسل أو المادة التى تصير عسلا والمعنى هو أن الفنون فى الحياة تستخرج من آلام الحياة أقاصيص وعبرا وحكمة تصير لذة فنية تهون شقاء الحياة

(٢) دلف تقدم أى هل يسير الدهر والعيش سيء تهما لكي تتمكن الفنون من ابتكار سحر جمالها وهل يرضى الأنام بلؤم الحياة من أجل لذة الفنون

(٣) اليباب القفر المجدب (٤) أي أن للفنون كيمياء تحول مظاهر الحياة الخسيسة إلى مظاهر رائقة جميلة ثمينة فكأن الفنون فى عالم المحسوسات والمعقولات هى حجر الفيلسوف المنشود فى عالم الماديات

منـــاجاة صورة ..!

للأديب رفيق فاخورى

إليك أبثُّ رسيس الهوى   وأكشف عن جرحه فأذن

لديك الضماد فَدَاوِ الجريح   ومُدَّ يد الراحم المحسن

تعهَّدْ جراحى ونحِّ الطبيب   فإن البـلاسم لم تغننى

لحاظك منها تشعُّ الحياة   فيا عجبًا كيف لم تحينى

وهذا المحيَّا الحبيب الرواء   أثار شجونى فأشـــقينى

وثغرك وهو معين الظماء   أجــدَّ غليلى ولم يسقنى

***

جــلاك المصوّر لى آية   حجبت سناها عن الأعين

وقلت : ألا فاسرحى فى الخيال   وهبّى على قلبى المـدجن

هبوب الحياة على الهامدين   وعرف الورود على المجتنى

وصونى بهاءك عن لامس   وحسنك عن ناظر ممعن

***

نفارك أحــلى فلا تركننَّ   إلى الناس يومًا ولا تسكن

فإنى أخشى عليك . الغرام   وأشفق مــن دائه المزمن

على ناظريك دلال الصبا   ووجهك روض النعيم الجنى

وأنت ـ على قدرة فى الجنون ـ   أرقُّ وأندى من السوسن

ومثلك يغوى الخلىَّ البرئَ   ومثــلى عن صبوة لا ينى

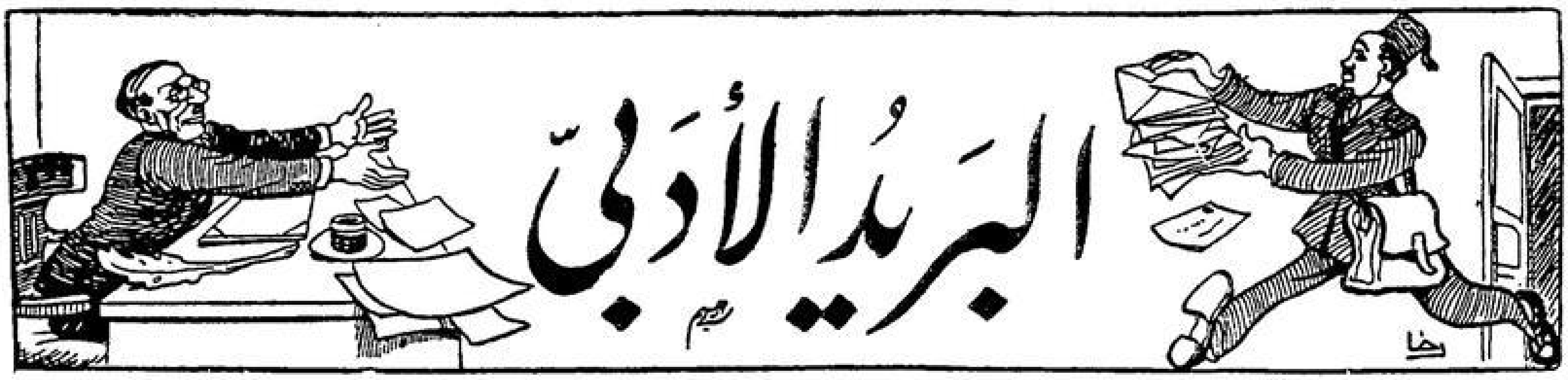
***

تمتع بحسنك يا فاتــنى   فعود صبائك قد ينحنى

وقد يخلق العمر هذا الجمال   وتذهبــه غولة الأزمن

وتسرى الكهولة فى مائس   يطير له القلب إذ ينثنى

« حمص »   رفيق فاخورى



عصمت اينونو

انتخب المجلس الوطني في أنقرة القائد (عصمت إينونو) رئيساً للجمهورية التركية، وهو من نوابغ الترك، وقد قالت الصحف الغربية والشرقية إنه أعظم رجل عند القوم اليوم. ومما يعرف عنه أنه ذو أخلاق عالية، منها التواضع والحياء، وهو من بيت تقوى ودين، وأبوه ورع صالح، وقد ورث عنه شيئاً كثيراً، وبينه وبين أسرة عربية في فلسطين قرابة. وأذنه عن لغو الناس صماء ... ومن قول الأمير شكيب أرسلان فيه — وقد لاقاه في لوزان حين ذهب إليها رئيساً للوفد التركي بعد الانتصار وذلك الصيت الحربي وكانت له في المؤتمر تلك الشهرة السياسية: «وجدت أعضاء الوفد التركي جميعهم يحملون حقداً على العرب حاشا عصمت باشا»

فهل تتلاقى في عهد هذا الرئيس قلوب ألف بينها الاسلام وكادت تفرقها حوادث الأيام؟

***

ماذا يرى ج. ب. بريستلي؟

لخصنا للقارئ في الأسبوع الماضي رأى برنرد شو في شباب هذا العصر ووسائل التعليم فيه. وكان أهم ما عرض له شو أنه لا يعترف لأحد من معلميه في شرخ شبابه بفضل عليه، وأنهم كانوا آلات شيطانية لكبت غرائز التلاميذ وكف أذاهم عن أمهاتهم لا غير، وأنه لا يذكر مدرسته الأولى بخير سواء أكانت مدرسة أو جامعة، وهو يفضل تعميم المدرسة الابتدائية كرحلة أولى لتثقيف النشء ولا يرى مانعاً من تدريس المواد الجافة لأنها تنفع في المستقبل وضرب لذلك مثلا بجدول الضرب وأوصى بضرورة لباقة المدرس في تدريس هذه المواد، ثم تكلم عن الجمع بين الجنسين في غرفة الدرس فلم ينكره بل حتمه، وذكر الكتب التي كان لها أكبر الأثر في توجيهه الأدبي فخص ألف ليلة وليلة الكتاب العربي الخالد ورحلة الحاج لجون بنيان وروبنصون كروزو لديفو وختم حديثه بضرورة تعليم الخط على أن يكون مادة مستقلة

وقد اطلعنا بعد ذلك على رأي ج. ب. بريستلي فرأيناه يعتذر عن الاجابة عن هذه الأسئلة (بالقطاعي!) لأن الأسئلة (القطاعي) أو التي لا رابط بينها تربكه، ثم هو لا يستطيع أن يبدي رأيه بصراحة في مدرسي المدارس إطلاقاً لأن أباه الذي ما يزال حياً يرزق ما يزال مدرساً في مدرسة أولية كذلك ... وفي قوله هذا جزء من رأيه ... وقد ذكر أن أبناءه تلاميذ في مدرسة داخلية وقد اختارها لهم لا عن تفكر وتفضيل، بل مدفوعاً بتيار العصر والعرف! أما أحسن ما يجب أن يتحلى به المدرس فهو أن يكون ذا حماسة لفنه ومقدرة طبيعية على النقد بحيث يؤثر في تلاميذه وينمي فيهم غرائز النقد والذكاء والبصر بالأشياء. ثم نعى على المدرس أن يكون متحذلقاً موحشاً ... ولا جرم فهذا المدرس يكون قليل الثقافة قليل الخبرة، وعلى ذلك يكون أخيب المدرسين!

وبريستلي يحبذ الجمع بين الجنسين في التعليم على شريطة أن يفصل بينهما بعد الرابعة عشرة. أما ما يؤخذ على شباب هذا الجيل من الكسل والفظاظة وانعدام روح المجازفة، فهو لا يرى ذلك ولا يوافق عليه ويعزو القليل منه الملاحظ فيهم، إلى روح العصر نفسه، لأن روح العصر حببت إلى الناس الترف والعيش على هامش الحياة دون التوغل في أعماقها، ولذا لا يلومهم على أنهم قُنَّع ... لأنهم إذا عدوا طور الشباب إلى طور الرجولة أقبلوا على مصاعب الحياة وتمرسوا بها، فلو علمناهم قليلا من النظام لظفروا بكل ما واجههم فيها

١٣ نوفمبر والأدب

مما يؤسف له أن تصدر مجلاتنا الأدبية وليس في واحدة منها إشارة إلى ١٣ نوفمبر. ولسنا نستثنى الرسالة من تلك الملاحظة بل نحن نكاد نخصها بها لأن ١٣ نوفمبر هو يوم فاصل في حياتنا

ومع ذلك فقد صدرت الرسالة مساء ذلك اليوم وليس فيها إشارة إليه ... والمجلات الأدبية تمد ثبتا للحوادث وسجلا لتوقيعات الأمة، ولم يكن أولى من الرسالة بأن تكون كذلك. ثم نحن نبحث عن صوت الأدباء في ذلك اليوم فلا نكاد نسمع لهم ركزا ، مع أن اليوم هو يومهم قبل أن يكون يوم الساسة الذين أقاموا السرادقات ليطعن بعضهم بعضا وليوجه بعضهم إلى بعض أقذع ألوان السباب والتشهير والشتم، وهم في ذلك ينسون أنهم قادة أمة وزعماء شعب وكان أليق بهم ألا يظهروا بهذ المظهر الزرى . ولكن المسئول عن هذا هم الأدباء لأنهم سمحوا للسياسة بأن تطغى على الأدب في هذا اليوم المقدس الرهيب الذى يحمل للأمة ذكرى جهادها .. وتلك ملاحظة عسى أن تنفع فى السنة الآتية د . خ

(الرسالة) : وقع عيد الجهاد فى يوم الأحد ، وهو يوم خروج الرسالة من المطبعة، فلم تستطع أن تقول كلمتها في العيد؟ فلعل فى ذلك عذرا لدى الأستاذ

دار العلوم وكلية اللغة العربية

الذى ينكر فضل دار العلوم فى نهضة اللغة العربية فى الشرق الحديث هو ضال جاحد قلبه ، ولكن الذى ينكر أن كلية اللغة العربية هى شيء عظيم جدا فى حياة الأزهر الحديث هو رجل لا يتصل بنهضة هذا البلد ولا يدرى عن أطيب ثمارها شيئاً ... فكلية اللغة العربية التى لا يدخلها إلا حامل ثانوية الأزهر والتى يدرس الطالب فيها لباب هذه اللغة وآدابها ثم يعود فيتخصص فى التربية أو علم النفس أو أدب اللغة أو التاريخ على نخبة من جهابذة العلماء المصريين من رجال الجامعتين ودار العلوم ... هذه الكلية هى منشأة جديرة بالاحترام والفخر والعطف ... ومصر مع ذلك فى حاجة إلى المعهدين معا ، وكنا نطمع فى أن تشتد أواصر المحبة والعلم بينهما بجامع الثقافة ووحدة الغرض ، لا أن تدب عقارب الغيرة بينهما فينتقص أحدهما الآخر من أجل مناصب التدريس فى معاهد الحكومة .. ونحن نرى أن تتدارك الحكومة هذه الحالة فتجعل مناصب التدريس الخالية فى معاهدها قسمة عادلة بين المعهدين ... على أن لنا رأيا فى ضم المعهدين سنبديه فى حينه

عناية وزارة المعارف العراقية بحركة الترجمة والتأليف

قالت جريدة الأخبار البغدادية : —

وجهت مديرية التربية والتدريس العامة بوزارة المعارف فى بغداد كتاباً إلى كل خريج مدرسة عليا من الشباب الدارس فى خارج العراق يتضمن تنبيه معالى الأستاذ رضا الشبيبى وزير المعارف فى تنشيط حركة الترجمة والتأليف، وقد رجت من هؤلاء الشبان المتعلمين أن يقوم كل منهم بتعريب الكتاب الذى يختاره فى موضوع اختصاصه على أن يكون فى نشره فائدة علمية فى خدمة الثقافة فى العراق والبلاد العربية عامة . على أن يقوم المترجم بأعلام مديرية التربية والتدريس بالكتاب الذى وقع عليه اختياره قبل الشروع في الترجمة .

وفيما يلى نص كتاب وزير المعارف فى هذا الصدد :

لوحظ أن حركة الترجمة والتأليف العامة فى البلاد ضئيلة الانتاج، ولما كانت هذه الوزارة حريصة جداً على تشجيع الانتاج العلمى وعضد حركة الترجمة والتأليف بجميع الوسائل المستطاعة نرى أن تذيعوا على كافة خريجى الجامعات والمعاهد العلمية العالية سواء كانوا موظفين فى هذه الوزارة أو غيرها أن هذه الوزارة على استعداد أن تعاضدهم فى نشر ما يقومون بترجمته من الكتب القيمة كل فى موضوع اختصاصه إما بشراء حق الترجمة إن قبل تقرير الكتاب فى المدارس أو بغير هذه الطريقة. هذا على شرط أن تقتنع هذه الوزارة بأن العمل يؤدى إلى خدمة نهضتنا العلمية أو الفنية في العراق .

أمة عربية تزول !

كان للكلمة الموجزة التى كتبناها عن مصير طرابلس الغرب تحت حكم الدوتشى (حامى الاسلام !) صدى قوى فى البلاد العربية فثارت النفوس بالاستنكار، وتحركت الألسن بالاحتجاج، وتردد ذلك كله فى الصحف الحرة اليقظى ، وسنقتطف منها نبذا تدل على قوة الوحدة الشعورية فى الأقطار العربية :

قالت جريدة (الرأى العام) العراقية تحت عنوان (طرابلس — برقة ضحية الاستعمار الايطالى) بعد أن نشرت قرار المجلس الفاشستى بضم طرابلس الغرب إلى إيطاليا :

« إننا نقف موقف المتفرج على ما يراد بقوم هم من العروبة في الصميم ، وقد كتبوا صفحات نضالهم ضد القوة الاستعمارية الغاشمة بدمائهم الكريمة ، فأية غضبة أعلناها فى سبيل طرابلس الغرب العربية وهى تتمزق إربا؟ وأية مظاهرة قمنا بها لنعلن سخطنا ولو بالمظاهرات على هذه الهمجية التى تفرضها دولة مستعمرة هى من ألد أعداء العرب على قطر عربى استنجد بنا ألف مرة ومرة وناشدنا النجدة والمعونة؟

لحد هذا اليوم نخلع على بعض رجالات العرب صفات البطولة لمواقف مجيدة كانت لهم ضد الاستعمار الايطالى أيام الدولة العثمانية غير العربية ، أفلا يكون شىء من ذلك أثناء وجود دول عربية ذات مراكز قوى إن لم تتمكن من حشد الجيوش وجمع الجموع فهى غير عاجزة عن رفع صوتها وإعلان احتجاجها على الأقل ؟ أو يعيش رجال من العرب على حساب البطولة « العربية » فى أيام العهد « العثمانى » غير العربى وهم أتباع ، بينما لا تكون لهم تلك البطولة عينها أو بعضها وهم سادة وزعماء فى بلدان عربية منبعثة من جديد ؟ وما معنى هذا ؟ وأية قومية عربية هذه ؟

لا مفهوم للوحدة العربية التى نتغنى بها إذا كانت طرابلس الغرب أول ضحايا الاستعمار الوحشى من البلدان العربية لا مدلول لها فى منطق « الوحدة » ولا يعنينا أمرها بشىء ، ولا تهزنا مأساتها الدامية . لا مفهوم للوحدة العربية ما دمنا لا نهاجم المستعمرين والمفترسين البلدان العربية على حد سواء . إن هذا الأمر بعيد جداً عن الوحدة بل عن الوطنية « ما دمنا نقول بوطن واحد عربى » بل بعيد عن صفات العروبة ومزاياها .

وقالت فى موضع آخر :

فى جزء غال من أجزاء الوطن العربى المقدس يعيش شعب عربى أبى فى بحران من الظلم الفادح والاستبداد العنيف .

شعب أعزل من كل شىء غير قوة الإيمان ، شعب فقد كل شىء غير الشرف، لا يزال يقاوم الخطر الذى يكتسحه، ويرد عن العروبة الداهية التى تدهمها ،شعب من هذا الطراز يعتقد أن على العرب واجبا نحوه يجب أن يؤدوه ، وفرضاً له يجب أن يقضوه

إن تأييد الشعب العربى الطرابلسى البرقاوى فى نضاله ضد الاستعمار الايطالى الفاشستى أمر محتم على كل عربى يتألم لألم إخوانه العرب ويخشى المصير الذى صاروا إليه، لأن عطف العالم العربى على المناضلين الطرابلسيين وتأييده لهم يزيدهم قوة فوق قوتهم وإيماناً على إيمانهم

ويفهم فى الوقت نفسه المستعمرين أن قضية الطرابلسيين هى قضية العرب أجمعين، وأن على الذى يريد صداقة العرب أن يصادق إخوانهم الطرابلسيين لا أن يتزلف إليهم بيد ويبطش بالأخرى باخوانهم . . .

حول مقال

سيدى الأستاذ الزيات

تحية وسلاما وبعد فقد قرأت يا سيدي ضمن ما أقرأ لك ما كتبته تحت عنوان « شيطان » فى عدد الرسالة الغراء رقم ٢٧٩ . والحقيقة أنك قد أتيت على وصف هذه المأساة أدق وصف وحللت شخصياتها أوضح تحليل . وأغلب الظن بل ومما لا أشك فيه أن هذه الصورة ليست من نسج الخيال إنما هى بنت الحقيقة، وليس من الغريب أن تقع أمثال هذه المآسى فى بلدنا هذا بل إنها واقعة فعلا فى معظم البيوتات المصرية سواء منها الكبيرة أو دونها كل على قدر ما نال . وقد أصبح هذا الداء هو « داء العصر » ولا بد أنك ياسيدى الفاضل ترى معى أنه داء عضال لا يرجى برؤه إلا إذا لحظته العناية وقيض الله له نطاسيا بارعا يستخرج المصل الكافى لقتله — وهذا حسبنا — أو على الأقل يكون واقيا لبقى المجتمع شره الوبيل

وإنى لأضع هذه الرسالة فى عنقك فلأنت خير من يرسل لرفع لوائها وينفث فى الأمة روح المعرفة والتوازن بين عادات الغرب الضارة وبين عاداتنا الشرقية الكريمة كى تصلح الشئون ويسمد القوم

والسلام عليكم ورحمة الله — قارئ

توحيد برامج التعليم فى الشرق الاسلامى

نشرت الصحف مقالا للأستاذ الجليل محمد العشماوى بك عن توحيد برامج التعليم فى الشرق العربى تناول فيه تاريخ الثقافة العربية بعد الاسلام مشيرا إلى الوحدة فى الأصل والطريقة والتفكير والغاية التى كان يسير عليها التعليم فى مدارس بغداد والبصرة ودمشق والقاهرة وتونس ، ثم ذكر نهضة العلوم الحديثة وتبدل روح العصر وما ينبغى لمصر أن تقوم به لتضطلع بحق بالزعامة التعليمية فى الشرق العربى فاقترح أن أن تعنى المدارس المصرية بدراسة أحوال هذا الشرق وعاداته وتاريخه ودعوة بعض أفراده من شعوبه المختلفة للدراسة فى مصر على نفقة المعاهد المصرية وغير ذلك من الوسائل التى تسهل توحيد البرامج فى بلدان الشرق فيما بعد ، والتى لا يمكن تنفيذ المشروع بدونها . والمشروع بعد هذا جميل وليس خيالياً كما يظن دعاة استقلال القومية المصرية أو المعارضون لفكرة اتحاد الشرق العربى لأنه لا يضر وطنيتنا فى شىء ، بل هو يقويها ويزيد فى مقوماتها ويفتح أمام شبابنا ميادين فسيحة لخدمة إخواننا وبنى عمومتنا فى الممالك الشرقية . ونحن لا نشك فى نجاح هذا المشروع ما دام قد نال عناية الرجال المسؤلين



أفاعي الفردوس

ديوان الأستاذ الياس أبو شبكة

بقلم الأستاذ فليكس فارس

ديوان يحوى ثلاث عشرة قصيدة من شعر الأستاذ إلياس أبو شبكة نشرته جريدة المكشوف البيروتية فاسترعت نبراته الأسماع، واستوقفت معانيه تفكير المتأملين

إلياس أبو شبكة نسيج وحده بين شعراء العرب اليوم . ولا أقصد بهذا الوصف أن أرفعه فوق أترابه ، فهو وإن كان في الطليعة من نسور الخيال، لا يسبقهم تحليقاً، ولكنه يندعن سربهم نافراً من خطوط الأنوار في أجوائهم إلى مسارح الغيوم السوداء فلا يدور إلا في مقاصف الرعود، ولا يطوى جناحيه إلا ليحط قوادمه على أدواح الغابات الموحشة أو على فوهات البراكين

أبو شبكة نسر ثائر مروع لا تستهويه سقسقة الجداول ولاعيون الأزهار ولا ناهدات الأثمار على الأماليد، وليس في إنشاده تغريد بلبل أو غناء شحرور. إن للنسر صرخات مدويات لا يأنس لها إلا من يتعشق ولولة الرياح على القمم، وهدير الأنهار في الأغوار

سمعت أبا شبكة يرسل أوائل صرخاته في القريض وأنا أحول أنين بلادى الخافت إرعاداً أطلقه من قمم المنابر، فكأنني سمعت جباراً إنشاده قرقعة سلاح ، وأشعاره خطب قيودها دروع لازرد أغلال

ولو أن أبا شبكة لم يمد جناحيه إلى آفاق الدنيا ولم يطلق نظراته على مجالات الشر في المجتمع الانساني ، لو أنه حصر تشاؤمه وثورته في حدود بلاده ولم يصطدم بالعوائر من آمال متقدميه، وقد ملأت منعطفات المصاعد كأنها أشلاء، لكان هذا الشاعر يتيه اليوم على أرض الناس لا أرض أجداده، لكان اختارله منى أو اختيرله منى

من أوائل قصائد هذا الشاعر أبيات وجهها إلى منذ أربع عشرة سنة يشكو بها الحياة وهو لما يزل على عتبة الشباب وقد نشرتها جريدة الشعب، ويلذ لى بل أرى من دعائم بحثى أن أقتطف منها بعض أبيات :

قال مفتتحاً :

أشكو إلي قلبك يا سيدى … قلبا ثوى في حظى الأسود
أطلقته طفلا ولما نما … أصبح محتاجا إلى مرشد

وقال :

فارس ، ما للحر من راحة … في وطن يرتاح للأعبد
ويل الشباب النض من قلبه … إذا أضاوه ولم يهتد
يا شاعر الآلام هذا دمى … ذوبته شمماً على معبدى
هذى شكاتى ياخطيب العلى … أرفعها للرجل الأوحد
وجدت فى نفسك مالم أجد … فى أنفس مخمدة هجد
لامست فى أناتها ثورة … أخمدت النار ولم تخمد

***

هذه الأبيات يزفر بها صدر فتى لم يبلغ العشرين، فيها شرارات من اللهيب المندلع اليوم من كل بيت يرسله أبو شبكة ، وإننى لأغتفر له الآن إغراقه فى وصفى بالرجل الأوحد لأنه كان وهو يتلفت إلى فى ثورته يناجى ما كمن فى نفسه من مُثل يهفو إليها

وقبل أن أعرض لديوان « أفاعى الفردوس » أرى أن أقف عند قصيدة الحجر الحى التى أنشدها صاحب هذا الديوان أمام تمثال المغفور له « فوزي المعلوف » فى حفلة إزاحة الستار عنه فى السنة الماضية ، فأقتطف منها نماذج لاستقرار الالهام وتطور البيان

أطبق جناحيك معقوداً لك الظفر … فقد وصلت وشوط المجد مختصر
ماضر وكرك أن تأتيه منطفئاً … ما دام قلبك فى جنبيه يستعر
عيناك فى الحجر المصبوب ساهرة … يقظانة فيهما أحلامك الغرر
تواجه الليل هول الريح صاخبة … ماضرك الذئب جوعاناً ولا النمر

نيران عبقر فى عينيك إن صردت ... هوج الدجى فعلى عينيك تنصهر
مهما طغى الليل لا تشقيك زوبعة ... إلا على جانبي وتبيك تنصهر
يقظان والناس عمى فى مراقدهم ... سيان ناموا على ذل أم احتضروا
عار علينا تنام الليل هانئة ... عيوننا وعباب الليل معتكر
لم يبق من رومة إلا صغائرها ... ومن قياصرها إلا دمى كسر
رفعت عنك ستار الناس منتفضاً ... أيحجب الخلد من يفنى ويندثر
هذى الستارة كانت فى تشددها ... عليك آخر قيد شده البشر
كأنها وهى تنضى خلعة كذبت ... من الفناء لحاء عنك يقتشر
منذ ابن مريم والأكفان هاوية ... عن النبوغ وصخر القبر منحدر
كم فى بلادك من نفس تود على ... وقاح عورتها أن تسدل الستر

وبيت الختام هو هذا :

لرب حىّ غدا فى قومه حجراً ... ورب ميت غدا حياً به الحجر

هذا أنموذج من شعر أبي شبكة أخذناه من الأماليد ومن الجذوع وكلاهما صلب كالأرز ينقصف عوده ولا يلتوى

وإلى الشعراء الآن مقتطفات من ديوان أفاعى الفردوس ، الديوان الحامل أسلوباً لا يمكن لأحد أن ينكر جدته وروعته. وقد جاء أبو شبكة بطابع مستحدث فى الشعر العربى سيبقى هو عميده الأول حتى فى الزمن الذى سيكثر فيه أشياعه ويفوقون فاتح وهاتك أستاره

لم يشأ شاعرنا أن يتقدم بديوانه دون تمهيد نثرى بسط فيه رأيه فى الشعر فجاء بنظرات صائبات تسلسلت فى درس عميق يطل فيه من شخصية شاعر حكيم له ثقافته واطلاعه الواسع وأحكامه كشرقى مستقل فى مبادئه لا يؤخذ بالتيار الغربى الذي يجتاح إلهام عدد وفير من الشعراء فى هذا المهد

اسمع أبا شبكة كيف يواجه مسألة الاستلهام فى أوطانه :

« وإننى لأسأل ماذا ترانا نستطيع بهذا القاموس الضيق ، هذا القاموس المتورد ، نتشبث به للتعبير عن أعمق حقائق النفس فنرفع الكلفة بيننا وبين اللغة ولا نتورع عن سلوك مهامه غامة كأننا فى حلم؛ وقد يخيل إلينا ونحن نسلك هذه المهامه أننا نسير فى الطريق الشعري السوى بينما نحن فى الحقيقة لا نحاول إلا الخروج عن أنفسنا مستعبدين لنظريات خاطئة بل مضرة تحرر منها حتى مبدعوها أنفسهم »

إلى أن قال مستنتجاً :

«فالمدارس الشعرية سجون، ونظرياتها قيود، والشاعر لا يعيش فى جو العبودية هذا؛ فالطبيعة هى جوه الفسيح تتكيف إحساساته بتكيف المظاهر المتقلبة فيه، وإذا خرج الشاعر عن هذا الجو خرج عن نفسه وكذب على نفسه »

هذا ما يقوله أبو شبكة عن المدارس الشعرية التى حسن لدى الغربيين أن يدعوها مدارس. وإنا لنرى الفرصة سانحة فى معرض هذا البحث لنقول كلمة موجزة عنها وعن الخطأ فى تصورها وتسميتها

إذا صح أن نطلق مدارس على المذاهب العلمية والفلسفية فهل يصح أن نطلق هذه التسمية على أساليب الشعراء فى بيانهم وعلى ما تستلهمه الأنفس من سرائرها ومما حولها من المشاهد ؟

إن أتباع المدارس العلمية والفلسفية ينقسمون أرهاطاً على عقائد معينة تختلف إحداها عن سائرها اختلافاً بيناً ، فهنالك طرائق وأوليات يسلم بها أشياع كل مدرسة كأنها قانون إيمان إن جنح عنه واحد منهم خرج حتماً من رهطه ليدخل فى رهط مدرسة أخرى. وأين فى الشعر مثل هذا الاجماع ما دامت السليقة وحدها هى المتحكمة فى خواطر الشاعر وإحساسه ولهجته وطريقة بيانه ؟

لذلك يقول لك أبو شبكة :

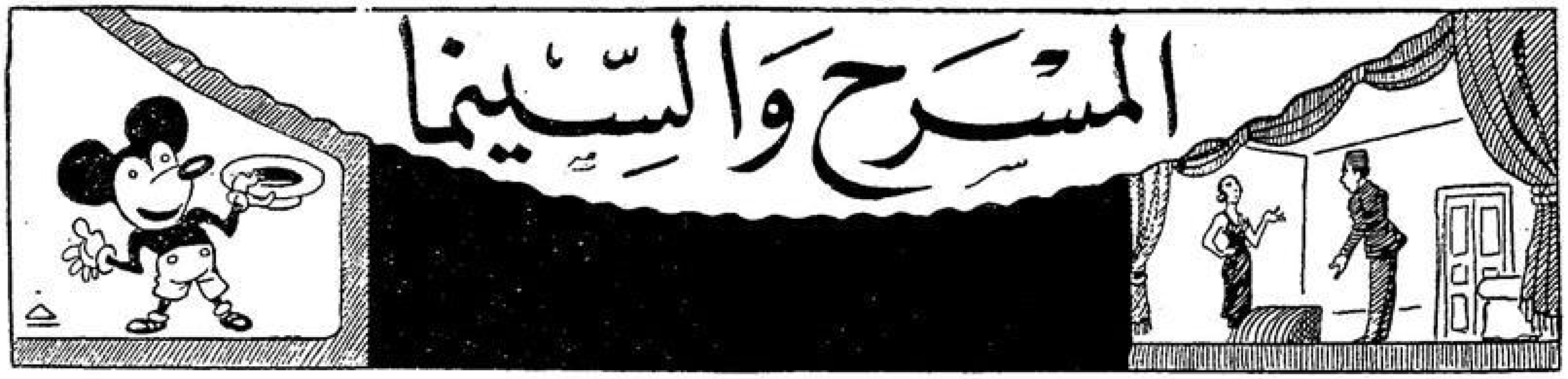
« إن بول فاليرى الذى جاءنا بنظريات خلقت فى الأدب الغربى جيلا مضعضعاً لم يحد عن صراط « ماليرب » ولم يتمرد على القاعدة الكلاسيكية فى النظم؛ وإنى لأجد فى شعر فاليرى أبياتاً يستطاع دسها فى شعر لامارتين»

إن التضعضع الذي يشير أبو شبكة إليه إنما تشاهده بين فئة المتأدبين والمتشاعرين فى كل أمة، لأن المشتهرين فى كل نوع من أنواع الفنون ينتصبون فى خيال محاولي الابداع مثلا عليا يطالبونها بخلع العبقرية عليهم كمكافأة لتقليدهم وتصنعهم

أما الفنان الحقيقى فان طابع شخصيته يتغلب على جميع المؤثرات التى تدور به والخاطرات التى تتسرب إلى سريرته من مطالعاته، فهو يريك أبداً سيماءه فى إنشائه، ويسمعك نبراته فى موسيقى بيانه ، حتى ولو تجلت فى أقوال من تقدموا وعاصروه من أهل فنه

إذن ليس فى الفن — وأخص منه البيان على الاطلاق — ما يصح أن يدعى مدرسة؛ وإن كان هنالك من هم بحق أساتذة، فليس لهؤلاء الأساتذة تلامذة بمعنى التلمذة الصحيح، إذ ما يمكن لطالب الأدب أن يستفيد من أدب معلمه سوى تقليده والسير فى ركابه إذا لم يكن لهذا الطالب شخصيته المستقلة التي تجرى فى مسالكها مقتبسة من كل ما يدوى فى أجواء الأدب من نبرات العبقرية دون أن تجارى أحداً وأن تقلد أحداً

من الذين تسنموا ذروة الشعر فى النهضة الحديثة شعراء تغنى



كلمتان فى الفرقة القومية
وفى رواية كرنفال الحب

ليس فى الأدباء ، ولا بين أكثرهم تشاؤماً من الفرقة القومية وأشدهم يأساً من استصلاحها — من يتمنى لها الراحة الأبدية، بل بالعكس كلهم يرجو أن تعصف بهـا عاصفة خريف تهيء قابليتها لحياة جديدة فى ربيع مقبل

لتشاؤم الأدباء ويأسهم أسباب وجيهة أوضحوها فى شتى المناسبات ، ولكن القائمين بأمر الفرقة كانوا يختلقون الأعذار لهؤلاء « المتذمرين المستائين » يعزونها فى الغالب إلى أغراض ذاتية ، فى حين أن ليس هناك متذمر أو مستاء ، كما طاب لمدير الفرقة أن يحرف الوصف تخفيفاً لوقع التشاؤم واليأس فى النفس ، أو أغراض ذاتية ، بل هناك كثرة من الأدباء يائسة كل اليأس من استصلاح هذه الفرقة القومية

ليس بمستغرب أن يفيض مدير الفرقة بالأحاديث ينشرها فى الصحف محشوة بالوعود الحلوة والأمانى الزاهرة ، بل المستغرب أن يكرر هذه الوعود على نسق واحد فى مطلع كل موسم للفرقة وعند اختتامه ذاهلا عن أدباء غيورين على هذه المؤسسة الأدبية يراقبون سير أعمالها حباً لها ، لا سعياً وراء غرض كما يتوهم حضرة مديرها الهمام

أما سمعته يقول فى جريدة البلاغ: « يمكننى أن أؤكد أن الفرقة القومية سائرة فى طريقها ، ونحن نعمل لاستكمال كل نقص لاحظناه فيها ؛ ونحن نعلم الآن العيوب التى فينا وسنعمل على علاجها بالقدر المستطاع حتى تصبح الفرقة قادرة على تأدية الرسالة التى تأسست من أجلها » وأنت لو ناقشته الحساب على هذه الأقوال لسمعت منه قولا فى المخرجين والممثلين والمؤلفين والمربين

الاشارة إليهم عن ذكرهم، وقد كان لكل منهم طابعه الخاص، فما كان أسلوب حافظ ليشبه أسلوب شوقي مثلا، غير أنك تجد عشرات من الشعراء قلدوا الأول وعشرات قلدوا الثانى فنظموا على وتيرة كل منهما دون أن يبلغ واحد منهم مرتبة أمير الشعراء أو مرتبة شاعر النيل .

وإننى لا أزال أذكر ما شاهدته من ظاهرة التقليد هذه أيام إعلان الدستور حين تسنم المنابر عدد قليل ممن استوحوا الساعة فألهموا البيان إلهاماً، إذ لم تمض أسابيع حتى غصت المنابر بالمتلمذين فكنت تسمع أصوات أمراء المنبر وتشهد حركاتهم تقليداً، فمنهم من هو صورة مشوهة للريحاني، ومنهم من تلبس خيال الغلاييني أو مجاعص أو . . . ولكننى لم أر واحداً من هؤلاء المقلدين الذين استنامت شخصيتهم الباهتة للاستهواء بلغ مقاماً له شأنه في مراتب الخطابة

وهنالك ظاهرة أخرى فى الفن الغنائى قد تدهشك إذا أنت انتبهت لما يسمعك إياه المذياع كل يوم من أصوات عديدة لأم كلثوم تخرج من حناجر عشرات المغنيات ، ومن أصوات عديدة لعبد الوهاب يسمعك إياها عدد من المغنين يتزايد يوماً فيوما .

هذه هي المدارس فى الفن، وما هى إلا عبارة عن تجمع كتل من المقلدين حول الأفذاذ النابغين، فما أقل عدد الهاتفين بأصوات تملق دماء القلوب فى نبراتها ، وما أكثر الصخور الصماء تدوى فى فراغها الأصوات تقذف بنبرة لتختنق نبرات .

هذه كلمة أؤيد بها نظرية صاحب ديوان «أفاعى الفردوس» فى إنكار المدارس فى الفن، أو بالحرى فى إظهار هـذه المدارس على حقيقتها . وما كان أبو شبكة إلا من الثائرين على التقليد والحدود ، وهو فى شعره أصل مستقل لا يعرف لشعوره حداً إلا ما ينشأ من شعور نفسه

« البقية فى العدد القادم »

فليكس فارس

أشد مما قاله مالك في الخمر بأسلوب شعري يلف به اللعنات بلفائف من حرير، ويتعمد تحاشي ذكر لجنة القراءة صاحبة الرأي في إقرار الرواية قبل تمثيلها كما يتحاشى ذكر أعماله وهو المسؤول الأول والأخير عن تقديم الرواية وعن إعطاء الحساب عن وقعها في نفوس الناس ومبلغ أثرها فيهم

أكتفي الآن بهذه الكلمة لأقف عند الرواية التي اختارتها الفرقة لحفلة الموسم، الموسم الذي قال فيه مدير الفرقة قبل أزوفه «إننا ننظر للمستقبل أكثر مما ننظر إلى الحاضر»

الرواية واسمها «كرنفال الحب» تأليف شارل ميريه وتعريب الأستاذ محمد خالد (كذا) تدور حول فتاة ربتها في الدير أمها الممثلة رامية من وراء ذلك إلى جعلها صالحة للزوجية فالأمومة كيلا تذوق طعم الحياة التي ذاقتها هي. فلما شبت الفتاة وزايلت الدير تعرفت في بيت أمها بشاب علقت به وذهبت معه إلى أقصى حدود اندفاعات الشباب

يتقدم كهل غني في طلب يد الفتاة من أمها، فتفرح لهذه السعادة، فتستدعي ابنتها لتزف إليها بشرى الحظ السعيد فتجيبها الفتاة بأنها تحب شاباً وهو يحبها وأنه سيتزوج بها، ولكنها عند ما تفاتح الحبيب بالزواج يداور ويتهرب من المسؤولية فتثور ثائرتها ثم تطرده من بيتها وقد تصام عن سماع اعترافها له بأنها ستصبح أماً وأن ابنه ينبض في أحشائها، وتعود إلى أمها تعلن لها رغبتها في الزواج من الكهل الغني مشترطة أن يتم الزواج في أسبوعين

ترقد الزوجة على جرح الحب، وتوهم الزوج أن ولدها من صلبه. وفي حفلة رقص تنكرية يظهر الحبيب لجارة لحبيبته وهو متذرع بذرائع إذكاء العاطفة النسائية وغيرتها الدائمة الاضطرام، فتلتهب فيها شعلة الحب القديم وتتخاذل فيها فروض الزوجية أمام دواعي الحب

تثور الظنون في صدر الزوج وهو كهل، وعاقل، وحكيم، وإذ يتأكد أن زوجته ما برحت تكتم الحب الأول وتحن إلى حبيب الشباب، وهي تفتديه بكل ما تملك، يعمل على استصلاح سيرة حبيبها الأفاق فينجيه من ورطة مالية كادت تؤدي به إلى السجن، ويجمع بينهما في بيت واحد، ثم يعلن إخلاء السبيل لهما يتمتعان بثمرة الحياة لأنهما شابان متحابان.

هذه خلاصة لموضوع الرواية التي أتجنب التعليق عليه لأنه يمثل ناحية من صور الحياة الباريسية طاب للفرقة عرضها في مستهل موسمها. فاختيار الرواية منوط بمدير الفرقة، والمدير يقول إن للفرقة رسالة وإنه عامل على تحقيق الرسالة. فهل رأى ووجد في هذه الرواية «الكرنفال» جميع المزايا التي تحقق رسالة الفرقة وتوائم المزاج المصري؟ وهل هو الذي فرض ترجمتها تحقيقاً للخطة التي اختطها وأعلنها في أحد أحاديثه في جريدة البلاغ إذ قال ما نصه «إن عمل الفرقة الآن يمكننا من توزيع العمل بانتظام، وترجمة الروايات بناء على طلبنا، وذلك بأن نعهد إلى شخص معين بترجمة إحدى الروايات التي نراها صالحة لأن تمثل على المسرح» أو أنها فرضت عليه فتقبلها طائعاً راضياً ليقول كعادته «والله يا سيدي هذا اختيار لجنة القراءة وليس اختياري أنا» ليتنصل من كل تبعة ومسؤولية؟؟ أرجو أن يجيب حضرة المدير على هذه الأسئلة لينير لنا السبيل.

* * *

أما المسرح فقد ظهر فيه روح جديد، وإن سرنا أنه شمل الاخراج والاضاءة وحركات الممثلات والممثلين إلا أنه ساءنا بطغيانه على طبيعة التحدث فجعلها تفتعل النسق الباريسي في كر الكلام ولفه وإطلاقه بسرعة إلى حد أنني كنت أفقد جملاً بأكملها تضيع المعاني معها.

أريد ألا أنسى أن المخرج فرنسي، والرواية فرنسية، ومزاج المدير مزاج فرنسي، فلا بدع أن تعلو السحب الفرنسية جو مسرحنا المصري. وهذا يفسر لنا معنى اقتصار الفرقة على تمثيل أربع روايات في هذا الموسم، منها اثنتان معربتان، وواحدة مقتبسة في وسع المخرج الفرنسوي استيعابها وإخراجها على وجه صحيح ووضع فني مستحب.

ابن عساكر